صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد الخامس





٣٤ حارة جاد ـ شارع الفجالة ـ مصر

مايو ١٩٣٩

افتتاحيـــــــات

مكافحة التعطل فى الولايات المتحدة

كان من أعظم ماتفخر به الدول الديكتاتورية — روسيا والمانيا وايطاليا — انها عالجت التعطل فليس فى أقطارها عامل لايجد عملا ، ولكن ولايزال التعطل متفشيا فى الامم الديمقراطية لان فيها الملايين من المتعطلين . ففى الوقت الذى تحتاج فيه المانيا إلى عمل العمال الاجانب الذين تستوردهم من ايطاليا او من غيرها تجد كل من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية أمامها الملايين من المتعطلين الذين يتناولون اجر تعطلهم . وقد يقال هنا أن ألمانيا انما استطاعت استخدام جميع عمالها وزيادة عليهم من الأجانب لأنها نقصت الاجور ولأنها انشأت عشرات المصانع للذخيرة والسلاح فى حين أن الأمم الديمقراطيـة لم تنقص أجور عمالها . بل يمكن أن يقال أن النظام الديمقراطى فى بريطانيا مثلا يسمح أن يمنح المتعطل الذى لايعمل مثل ماينال العامل فى المانيـا أو ايطاليا على عمله الذى يعمله

والآن نترك هذه الاعتبارات لـكى نعرف ماذا قامت به الحكومة الامريكية لمـكافحة التعطل . فان هذه الحكومة إلى جانب ماقررته من أجور تؤدى للعاطلين ابتكرت مشروعا آخر كانت ثمرته ايجاد مايسمى « فيلق الصيانة المدنية » وهو يجمع بين استخدام المتعطلين وبين تعليمهم وتدريبهم . وهذا

الفيلق لا يستخدم سوى الشبان بين سن ١٧ و ٢٤ سنة . وقد مضى عليــه الآن ست سنوات تخرج منه مليونان وربع مليون من الشبان وقضى فيـه كل منهم مابين ستة أشهر وسنتين . فأعضاء الفيلق أو جنود هذا الفيلق فى تغير لا ينقطع . ولفظة « فيلق » هنا مع رائحتها العسكرية لا تدل على ان النظام الذى يخضع له الشبان يومىء من قريب أو بعيد الى العسكرية . فان الشبان يجمعون من انحاء الولايات المتحدة من كل لون الابيض والزنجى والامرندى ثم يوزعون على اربعة آلاف مخيم فيعيشون فى الهواء الطلق وتلقى عليهم دروس ثقافية وحرفية فيتعلمون العلوم والاداب مع حرفة عملية يمكنهم ان يعيشوا منها عندما يتركون المخيم . وهم يأكلون ويشربون وينامون بالمجان . وفوق هـذا يتناول كل منهم ستة جنيهـات فى الشهر . ويجب على كل عضو ان يرسل الى اهله من هـذا المبلغ ٤٤٠ قرش ويحتفظ إذا شاء بالباقى وهو ١٦٠ قرش لان الغرض ليس استخدام المتعطل فقط بل مساعدة اهله ايضا . والى جنب هذا يتعود الشاب حياة الهواء الطلق فى الخيام . ويتعلم حرفة جديدة أو يستكمل دربته فى حرفة قديمة . وينال مقداراً من الثقافة

أما من حيث العمل الذى تنتفع به الدولة مباشرة فينحصر فى « الصيانة » أى ان هؤلاء الشبان يعملون فى تخطيط الطرق وفرشها بالأسفلت أو الخرسانة وفى انشاء الجسور فوق الانهـار وتقوية شطوطها وفى غرس الغابات وتمديد السكك الحديدية واقامة الحواجز ضد النار فى الغابات ونحو ذلك. فالعمل كله يجرى فى الهواء الطلق الذى يحتاج اليه الشاب فى تقوية صحته وتقوية عضلاته . فالشاب الفقير يؤخذ وهو شاحب مترهل العضلات . فلا يمضى ستة أشهر فى احدى هـذه الخيام حتى يكون قد لوحته الشمس ونما ذهنه وربا جسمه . وليس الالتحاق اجباريا فلا يفرض على كل متعطل أن يلتحق باحدى الخيام . وانما هو يتطوع نظير الجنيهات الستة الشهرية إلى ماسوف ينتفع به من صحة وتعلم ، والعادة ان الالتحاق يكون لستة أشهر ولـكن يمكن كل شاب أن يبقى فى الخيام مدى سنتين يخرج بعدها الى مدينته أو قريته فلا يشق عليه أن يجد العمل الذى درب عليه وهو بالخيام

وقد افتتحت هذه الخيام سنة ١٩٣٣ فهى الآن فى سنتها السابعة وقد مر فيها كما قلنا مليونان وربع مليون شاب هم الآن أصح أجساما وأثقف أذهانا وأعظم دربة على المهنة مما كانوا قبل أن يدخلوها كأن الولايات المتحدة انتفعت بخدمتهم فى صيانة ثروتها وترقيتها . وفى الوقت نفسه وجد آباء

هؤلاء الشبان مسدة غيابهم عنهم أجوراً أنفقوها فى حاجاتهم فخدموا الرواج الصناعى والتجارى

هذا مثال مما تقوم به أمة ديمقراطية متمدنة لمكافحة التعطل . وهو ثمرة التفكير الاجتماعى الذى هو دأب الساسة الديمقراطيين والذى مازلنا مع الأسف نجهله فى مصر

الصراع بين الوطنية والعالمية

يكابد العالم فى هذه الأيام من حدة الوطنية مثلما يكابد المريض من شدة الحمى . فهو فى بحران من الفرق يهذى وفى الوقت نفسه ينصرف نشاط رجاله الى التدمير أو أعداد العدة للتدمير . .

وهذه الوطنية هى فى الاصل فضيلة تنشد الخدمة لابناء الوطن وتدعو الى العزة لكى تكتسب النفس كرامة تحث على الهمة والنشاط . ولكن قديماً قال ارسطوطاليس أن الفضائل وسط بين الافراط والتفريط . وكلاهما رذيلة . وقد أفرطت بعض الأمم فى الوطنية فاستحالت فضيلتها رذيلة وكما تستحيل الشجاعة بالافراط تهورا كذلك صارت الوطنيه بالغلو الحاشر تحديا ثم تهديدا ثم اعتداء

ومما يتفق والمنطق أنه حيثما احتدت الوطنية تقهقر الدين . بل هو يحارب عندئذ لانه ينافى الوطنية . ذلك أن الدين التوحيدى الذى يدعو الى رب واحد يقول بالمساواة بين أبناء البشر . وهذه المساواة لا تتفاق مع الوطنية المعتدلة ولكنها لا تجد مكانا أمام الغلو فى الوطنية

وقد كانت الاديان الوثنية القديمة تتفق والوطنية معا احتدت لأنه كان لكل قطر آلهته الخاصة وكانت هذه الحال ملحوظة وقت الحروب . فكان أول ما ينبغى على القائد الظافر أن يعمد الى الأوثان والاصنام فيحطمها . لأن تحطيمها يعنى تفكيك الرابطة الوطنية

ولكن التوحيد جاء بعد ذلك فتسامى بالناس فى جميع الاقطار الى فكرة الاخاء البشرى الذى يعلو على التمايز الوطنى . ولذلك يمكن أن نعد التوحيد من هذه الناحية دعوة الى العالمية كما هو دعوة الى الديمقراطية الروحية . فلا تمايز بين ملك أو صعلوك ولا بين صينى أو انجليزى امام الله الواحد . ومن هنا هذه المقاومة التى يلقاها الدين فى الأمم التى تدعو الى المبالغة فى الوطنية . لأن زعماء هذه الامم يشعرون ان الولاء للوطن يجب ان يكون تاما لا يشترك معه أى ولاء آخر

وقد اعقب الحرب الكبرى طموح الى السلام ورغبة فى التوحيد العالمى . ولكن هذا الطموح

يبدو الان كأنه لم يكن سوى الاسترخاء يعقب الجهد او هو الرغبة فى الراحة تعقب الاعياء . يعزز هذا الظن ان النيات لم تكن سليمة إذ فرضت شروط قاسية على المانيا لو أن صبيا صحيح العقل فى العاشرة من عمره تأملها وسئل عن عواقبها لما عجز عن أن يرى بعين عقله ما نحن فيه الان من مشكلات كنتيجة مقدورة لهذه الشروط . اذ كيف كان يعقل ان امة عظيمة مثل المانيا ترضى طويلا بالسكوت على اذلالها وقص اطرافها ؟ بل كيف كان يعقل أنها بعد أن تعرض عليها ١٤ مادة يضعها الرئيس ولسون لتنظيم السلم وتأسيس السياسة بين الدول على قواعد العدل والحب تعود فتجد ان هذا العرض كان خدعة ؟ ثم تأتى بعد ذلك عصبة الامم فلا تصدق النيات فى تأييدها

لقد كان محتوما ان نصل الى هذه الحـــال لان صلح فرساى فرض بالقهر وأثمر القهر الحقد . وتكشف الحقد عن انتقام

ولكن حتى بعد هذا الصلح كان يمكن عصبة الامم لو أنها وجدت التأييد الصادق والنية الحسنة ان تصلح ما أفسدته معاهدة فرساى وان ترقى بالبشر درجة اخرى فوق الوطنية نحو العالمية وان تضمد بيد الحب جروحا لم يوجدها غير البغض . ولكننا الآن وبعد عشرين سنة من تأسيسها نراها جاثمة بين ثلوج سويسرا كالو كانت ميتا قد ادرج فى الاكفان

ومن البعيد ان يتغلب العقل الآن على الجنون فيعقد مؤتمر جديد لتصفية المشكلات ورد الكرامة الى من أحسوا الهوان . ولكن هل يبعد على الحكمة الانسانية ان يعترف الجميع بخطأتهم اوان يؤسسوا العالمية الجديدة على أسس ثابتة من الحق الذى تؤيده القوة ؟

ان هذا هو أمل الانسانية . وهو أيضا إحدى غايات الدين وهو غاية الثقافة الصحيحة . ولابد ان السنوات القادمة ستحتم بالصراع بين الوطنية والعالمية . وسوف يتوقف سلام العالم على انتصار العالمية

عقد الصلح قبل الحرب

ينحصر المغزى لرسالة الرئيس روزفلت الى كل من الزعيمين هتلر وموسولينى فى أنه يدعوهما الى عقد مؤتمر المفاوضة فى عقد الصلح قبل اعلان الحرب . وهنا حكمة بالغة وتفكير مختمر وروية هادئة تستحق التعليق

ذلك أن معاهدة فرساى التى عقدت سنة ١٩١٩ جاءت عقب حرب طاحنة دمرت المدن وقتلت الجنود وأغرقت السفن والبوارج وأفسدت فوق ذلك ضمائر الامم . فلم يستطع المجتمعون فى هـــذا المؤتمر أن ينظروا بعين النزاهة ولا بعين الحكمة الى المستقبل القريب . بل نظروا بعين الحقد والانتقام فبدلا من أن يضعوا صلحا وضعوا عقوبات . ثم أثمر الحقد حقدا وها هو ذا يثمر الانتقام انتقاما

وعلى الرغم ما زعمته بعض الامم عن حكمة ساستها وقدرتهم يجب أن نسلم بان المهندسين الذين شيدوا معاهدة فرساى لم يحسنوا البناء الذى انهار جزء كبير من جدرانه وتوشك سائر جدرانه أن تنهار قبل أن تمضى عليهـا عشرون عاما ، وقد نستطيع أن نستثنى من هؤلاء الرئيس ولسون الذى احتقرت آراؤه ولم تنفذ المبادىء الاربعة عشر التى دعا اليها

ومما يحكى عن بسمرك السياسى الالمانى الذى بنى الامبراطورية الالمانية السابقة أنه عقب الحرب بين بروسيا والنمسا والانتصار على النمسويين جعل يستصلحهم ويترضاهم لكى ينزع من قلوبهم ما زرعته الحرب من حسك العداوة ، ونجح فى هذا حتى أصبحت امبراطورية النمسا والمجر حليفة لالمانيا

وحدث مثل ذلك أيضا فى حرب البوير ، فان الانجليز بعد أن انتصروا عليهم تقدموا اليهم وأدوا غرامة حربية هى غرامة للظافر وليست غرامة المهزوم فبنوا جميع المنازل التى هدمتها مدافعهم وغسلوا بذلك ما خلفته الحرب من احقاد . وأصبحت ترنسفال جزءا من الامبراطورية البريطانية . بل لقد خرج منها أمثال الجنرال سمطس الذى يدافع عن هذه الامبراطورية اكثر من دفاع الانجليز مع أنه حاربهم وقتل منهم ولكن يد الندى قد ازالت من نفسه جروح السيف

ولو أن معاهدة فرساى جرت شروطها على الاسلوب الذى أراده الرئيس ولسون لما كنا الآن فى هذه الأزمة التى توشك أن تنفجر حربا عاتية تعم العالم كله . ثم حتى بعد ذلك وبعـــد الخراب والتقتيل ستعقد معاهدة يمليها الحقد الجديد وتثير بها الجروح الدامية فتكون أسوأ من معاهدة فرساى

ولذلك يعرض الرئيس روزفلت عقـد مؤتمر الصلح قبل نشوب الحرب حتى يجتمع فيه ممثلو الدول التى تعتقد أنها ظلمت فى معاهدة فرساى فيكون الاستصلاح والتضميد قبل أن تفسد الضمائر وتمرض النفوس بالحرب . وفى مثل هذا المؤتمر يمكن الالمان والايطاليين أن يعرضوا فى جو هادىء ـ على قدر ما تسمح به الازمة الحاضرة ـ حاجاتهم بشأن المستعمرات والمواد الخامة والتبادل التجارى

وما أدرانا فلعل هذا المؤتمر ينقلب الى مؤتمر ليس لمصالحة ايطاليا وألمانيا فقط بل لحل المشكلات القائمة . وهى فى الاساس مشكلات اقتصادية . فان أزمة سنة ١٩٣٠ لاتزال تمتد الى هــذا العام ولاتزال آثارها واضحة فى ارتباكات مختلفة قد رأينا منها هذا الشهر هذا الانحطاط فى أثمان القطن المصرى الذى يعزى الى قرب اخراج ٢٥ مليون قنطار من القطن الامريكى المخزون الى أسواق العالم

فاذا كان العالم يخشى الحرب واذا كانت المانيا وايطاليا حانقتين لحرمانهما من المستعمرات والمواد الخامة والقيود الجركية فان العالم نفسه فى حاجة الى مثل هذا المؤتمر لا لكى يتوقى الحرب فقط — وان كان هذا التوقى كبير القيمة جدا — بل أيضا لكى يحل المشكلات الاقتصادية التى تعوق نموه ورقيه وتعرقل سعادة الجماهير فى جميع أنحاء العالم

نفير توت عنخ آمون

أوسعتنا محطة الاذاعة فى الشهر الماضى سخاء وابداعاً حين وقف الاستاذ على خليل يتحدث إلى الاستاذ حمادة فى المتحف المصرى عن آثار توت عنخ آمون . ثم يختم الحديث بالنفخ فى نفير توت عنخ آمون . وقد سمع هذا الحديث فى جميع أرجاء العالم حين يدور حول الكرة الارضية ويعلن للعالم كيف تجتمع حضارة الفراعنة فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد بحضارة القرن العشرين بعده

وللتاريخ القديم روعة ومهابة تقاربان القداسة . وقد انصت المستمعون وهم فى حلم كأن خمرا مسكرة قد دارت برموسهم تنقل اليهم خيالا لحادث كانت تحدث أشباهه قبل ٣٣٠٠ سنة حين كان يخرج هذان النفيران فينفخ فيهما اعلانا لخروج فرعون أو لقدوم إحدى فصائل الجيش أو لخروجها . وقد كان لصوت النفيرين رنة حديثة عصرية . ولعل السبب الاكبر لهــذا أن اللحن الموسيقى الذى اتبعه النافخ كان حديثا . ولكن الرنة كانت مع ذلك صافيه عذبة عالية . وليس هذا غريبا إذا علمنا أن لكل نفير جرابا كان يحفظ فيه وأن استعماله لهذا السبب كان قليلا . اذ لو كان كثيرا لابتذل ولما احتاج الى جراب . بل هذا هو الشأن فى جميع مخلفات الملك توت عنخ آمون . فان الزائر للمتحف تأخذه الدهشة لاول رؤيته لها ، لا لنفاستها ولألاء ذهبها ومرمرها بل لجدتها ؛ حتى لكأنها خرجت

لساعتها من المصنع، وحتى لتكاد العين تبحث عن بقايا الورق الذى لفت فيه ونزع عنها العرض والتفرج

وعصر توت عنخ آمون قريب الشبه بعصرنا الحاضر من ناحية الازمة القائمة التى توشك أن تغمر العالم فى بحر من الدماء . والمتأمل فيما بين العصرين من المشابهة لا يملك نفسه من الحسرة لهذه المأساة الانسانية التى تتجدد . ونحن فى أسر المحن والتجارب نحاول التكمل فلا نكاد نحقق منه شيئاً حتى نتراجع كما ينتكس المريض بعد البرء . فقبل نحو عشرين عاماً ظهر رجل يلد له مقام الملوك هو الرئيس ولسون ودعا الى تأليف عصبة الأمم لمنع الحروب وتعميم السلام . والفت العصبة وعاشت أعواماً وهى أمل منشود تجتمع حوله قلوب الامم التى ترغب فى السلم وتؤمن به . ولكننا الآن ، وبعد عشرين سنة فقط من تأليف العصبة ، نشعر بالنكسة اذ نصبت أعلام الحرب وصرح الأقوياء بمذهب السيف

وكذلك كانت الحال وكانت المأساة فى مصر قبل ٣٣٠٠ سنة . فقبل توت عنخ آمون ظهر فرعون عظيم اسمه اخناتون كان من الافذاذ الذين يمدون الافكار وكانها الخاثر للانسانية . فقد نظر النظرة العالمية الواسعة بدلا من النظرة المصرية الضيقة . وعرف ان الله واحد يحب الاجانب ويرعاهم كما يحب المصريين ويرعاهم وكان من أناشيده « ان الله خلق النيل لمصر على الارض وخلق للاجانب نيلا فى السماء » يعنى المطر . ثم حطم هذا الفرعون الاصنام ومحا أثر الاوثان ودعا الى الحب والسلام وثارت الثورات فى سوريا التى كانت تابعة لمصر ورفض أن يحارب الثائرين لأن الحياة الانسانية كانت عنده مقدسة لا تجيز لانسان أن يقتل انسانا

وعاشت الدنيا فى أيامه وهى تتعجب من هذه الدعوة الجديدة . وفيها — كما كان فى أيامنا القريبة فى السنوات الاولى لعصبة الامم — المتفائل المصدق والمتشائم المكذب . الى أن مات اخناتون كما مات ولسون

ثم جاء توت عنخ آمون فتغيرت الدنيا ونفخ من جديد فى نفير الحرب . وأعيدت الأوثان والاصنام . وانقشع الحلم الجميل الذى انتشت به عقول بعض أسلافنا قبل ٣٣٠٠ عام ، ولكن الخميرة لم تمت . كما هو واضح من الكتب الكثيرة التى لا تزال تذكر فيها بالحرف والمعنى بعض نصوص أخناتون . وكذلك لن تموت الخميرة التى زرعها ولسون

وأمس امتزجت الصبابة الى المستقبل الزاهر بالحسرة على الحاضر القاتم . وتلفت الذهن يقارن بين خيال أخناتون وبين نكسة توت عنخ امون ويتردد فى فهم المغزى من هذا التغير . ولكنا لا نستطيع أن نعيش الا بالاحلام ولن يموت ولسون وأخناتون فى قلوبنا لاننا لا نطيق أن تموت أحلامنا

المخدرات في مصر

يرى المتصفح التقرير الحافل الذى صدر قبل ايام عن مجهود مصر فى مكافحة المخدرات كثيرا من العبر سواء فى انتشار هذه المخدرات ام فى الحيل التى يلجأ اليها المتجرون بها أو الاسقام المرعبة التى يقع فيها المدمنون لها

والحشيش اخف المخدرات ضررا ولكنه أكثرها انتشارا وذلك لأسباب كثيرة ربما كان اهمها ان الرأى العام بين الطبقات الفقيرة لا يستنكره وان له تاريخا قديما لا يقل عن ٧٠٠ سنة فى مصر والاقطار الشرقية . حتى لقد كانت حكومة مراكش تحتكره وتبيعه الى وقت قريب لسكان كما تحتكر بعض الحكومات بيع الدخان أو غير ذلك . وسبب آخر لانتشاره هو انخفاض ثمنه وكثرة زراعته فى الاقطار القريبة منا مثل سوريا وغيرها . فان التقرير مثلا يثبت انه قد عثر فى سوريا على زراعات من الحشيش تبلغ مساحتها ٧٤٣ر١٨٣ متر مربع فى العام الاسبق وانها اتلفت ويدهى انه الى جنب هذه الزراعات التى عثر عليها توجد اخرى لم يعثر عليها سواء فى سوريا أم اليونان أم بعض الاقطار البلقانية

ولاتكفى القوانين للمنع . لاننا فى كفاح الجريمة يجب ان نجعل الهم الاكبر ايجاد الروح المعنوى لهذا الكفاح بين أبناء الامة . فاذا لم تستنكر الامة الجريمة وتصم مرتكبها بوصمة الهوان والضعة فان القانون وحده لا يكفى لقمعها . وكذلك يجب ان يكون هذا الكفاح سلبيا وايجابيا . فمن الجهة الواحدة يجب ان نجعل الرأى العام يستنكر المخدرات ويطلب التشديد فى العقوبة . ومن الجهة الاخرى يجب ان نرفه عن الطبقات الفقيرة بحيث لا يضطرها الضيق النفسى والازمات العاطفية الى ان تنشد الانفراج والتنفس باللجوء الى المخدرات والمسكرات . والرغبة فى تخدير الحواس والذهن هى قبل كل شىء حالة نفسية يحدثها الوسط الاجتماعى . والبرهان على ذلك انه حين يكون هذا الوسط راقيا تتعدد فيه الوان الترفيه للسكان وتخفف عنهم أزمات النفس — حيث يكون ذلك لا

يكون ثم حاجة الى مخدرات أو مسكرات . وقد حدث مايقارب ذلك مثلا فى أسوج . التى ليس بها أية عقوبة لتعاطى المخدرات لأنها فى غنى عنها ولا يباع فيها من الخمور سوى المشروبات المخففة التى تقارب الاشربة المنعشة عندنا

فاذا كانت المخدرات تتفشى فى مصر والهند والصين فان تفشيها هذا هو عرض لمرض مرجعه قلة المرفهات عن نفوس السكان من الفقراء . وهنا يجب أن نذكر ان انتشار الاتومبيل والسينما توغراف والراديوفون قد خفض استهلاك الخمور فى بريطانيا الى ما يقرب من النصف . لان النفس الانجليزية وجدت فى هذه المسليات الثلاثة مايفرج عنها ويغنيها عن الحاجة الى الخمور . ونحن بالطبع أبعد من أن نفكر فى مثل الحال الاقتصادية التى أتاحت للانجليز هذه المسليات تتفشى بين الطبقات العاملة . ولكن يمكننا مع ذلك أن ندرس بعض ما قامت به بعض البلاد الاوربية الاخرى من ضروب الترفيه عن عمالها و نأخذ منها بما يوافق بيئتنا

وقد أجدت الجهود التى بذلتها الحكومة فى مكافحة المخدرات وخاصة المخدرين المهلكين الكوكئين والهيروئين وقرب من ذلك الحال فى الافيون . ولكن يبدو أن الحشيش لايزال متفشيا وهو على كل حال اقل هذه المخدرات ضررا وحسبنا ان نعرف انا حرمناه منذ اكثر من ٧٠٠ او ٨٠٠ سنة ولكن هذا التحريم لم يزله من بلادنا . وقد عثرنا فى كتاب ثمرات الاوراق على منشور أذاعه وزير الملك صلاح الدين . وهو أبو على عبد الرحيم جاء فيه قوله :

« وقد بلغنا .. أن الجماعة التى كانت ترضع ثدى الكاس (الخمور) عن ثديها ما فطمت . وأنها من النشوة كما خيب ابليس مسعاها . وأنها ، لما اخرج المنع عنها ماء الخمر ، أخرج لها من الحشيش مرعاها . وانها استراحت من الخمار . واستغنت بما تشتريه بدرهم عما كانت تبتاعه من الخمر بدينار وأن ذلك فشا فى كثير من الناس وعرف فى عيونهم ما يعرف من الاحمرار فى الكأس . وصاروا كانهم خشب مسندة سكرا . واذا مشوا يقدمون لفساد عقولهم رجلا ويؤخرون أخرى . ونحن نأمر بان تجتث اصولها وتقتلع ويؤدب غارسها حتى يحصد الندامة مما زرع وتطهر منها المساجد والجوامع ويشهر مستعملها فى المحافل والمجامع . حتى تشبه العيون من هذا الوسن . وحتى لا تشتهى بعدها خضراء ، ولا خضراء الدمن »

وهذا « القرار الوزارى » لم يأت بالنتيجة المطلوبة لاننا ما زلنا فى الكفاح بعد ٨٠٠ سنة

الحياة الجنسية في نظر الدوس هكسلي

للاستاذ بشرى الضبع

بظهور فرويد ورنتجن واينشتين وبرجسون وجينز اتجه التفكير الانساني في اوائل هذا القرن اتجاها يختلف كل الاختلاف عما كان عليه في القرن التاسع عشر . بل اننا نستطيع ان نقول ان التغير الذي اصاب تفور الانسان للعالم خلال الاربعين السنة التي خلت يضارع الجهود الشاقة التي بذلها في تعديل صورته عن العالم وتقريبها الى الحقيقة خلال الخمسة القرون الماضية . ونتج عن هذا الانقلاب اهتمام العلماء بالفلسفة والدين والفن . فقد ظهر لهم ان ايمان قادة الفكر العلمي في القرن الماضي لا يقوم على أساس متين ، حين تبين لهم فساد كثير من النظريات العلمية التي بدت لاصحابها في ذلك العهد كأنها حقائق ثابتة لايتطرق اليها الشك او الفساد . ومن هنا بدأوا يشكون في الحواس كسبيل للوصول الى الحقائق الثابتة . وكان ظهور فلسفة « كأنه كذلك » لفايهنجر نتيجة طبيعية لما اصاب سلطان العلم من ضعف .

وانقسم رجال الفكر تبعا لذلك قسمين : فريق شك في العقل الانساني جملة واعتمد على العلوم العملية التي تفيد الانسان مباشرة فتكسبه ثروة وسعة ومتاعا . هــذا الفريق يجرد الحياة من القيم والمثل العليا والحقائق الثابتة . ولا يعترف الا بالناحية الحيوانية من الانسان ، بانواع الترف المختلفة واللذات الطارئة . ومعاييره الاخلاقية هي التفوق والسيطرة . والفريق الثاني يزعم ان الانسان ليس عقلا خالصا . وانما هو عقل وبصيرة معا . فالعقل وحده لايستطيع ان يفسر الحياة جملة ، وانما هم مضطرون الى استلهام عقولهم السلالية . وهؤلاء العلماء يقربون الحياة بمزاج الفنان ، أي ببصائرهم . وحينما نقرأ لأليوت سميث او لبرجسون او برستيد لا نكاد نميز في احدهما العالم من الفنان . فالفن عند

هؤلاء وسيلة لاسبيل الى انكارها للوصول الى الحقائق الانسانية الكبرى . ولكنهم فى الوقت نفسه يقربون هذه الحياة كما يصورها ويفسرها العلم الوصفى الحسابى الحديث . فليس هناك مايدعو عندم الى الفصل بين العلم والفن . اذ اننا لانستطيع ان نضع حدا فاصلا بينهما . وبهذا اصبح التعريف المدرسى للعلم أثرا عديم القيمة من آثار القرن التاسع عشر . واصبحت كلمة « الخلق » ، وهى عملية نفسية ترتكز فى جملتها على الخيال ، تطلق على العلم والفن معا . اما هذه العلوم الخاصة التقريرية الوصفية الحسابية كالتشريح وما اليه ، فقد اصبح من الخطأ ان نسميها علوما . انها مجرد « أنظمة فكرية » . اما التعريف الصحيح للعلم فهو « المعرفة فى دور البناء والتكون » . ومن هنا هذا الاتجاه الجديد الذى نراه فى بعض الجامعات الحديثة فى اوربا وامريكا . ففى جامعة كولومبيا مثلا لايعرفون التخصص ، وانما تدرس مظاهر الحياة من نواحيها المختلفة ، العلمية والفنية معا . فيجمعون بذلك بين دراسة الطب والشعر والاقتصاد . ومدار البحث فيها الانسان نفسه والوسط الذى يعيش فيه وتأثر احدهما بالآخر . ونسمى هذه الدراسة « بالتاريخ الانسانى » . ومن هنا ايضا ظهور جمهرة كبيرة من الكتاب الانسيكلوبيديين . ومن هؤلاء الموس هكسلى الذى احاول الآن اعرض اراءه فى الحياة الجنسية .

ولقد دفعنى الى اختيار هذا المفكر الانسيكلوبيدى أمران : اولهما هو ان هذا المفكر تكبير قرأ كثيرا وكثيرا جدا . واختبر كثيرا ايضا . فجمع بين لذات الفكر ولذات الجسد وكان مثالا للرجل الكامل كما يراه د . ه . لورنس : وهو الذى يكون حيوانا كاملا ومفكرا كاملا معا . وكان شعاره الذى يبشر به الى عهد قريب جدا ، وهو بيت من الشعر للشاعر الكبير وليام بليك ، « افعل ماشئت فالدنيا اسطورة ، انها مزاج من المتناقضات » . فالحياة الكاملة عنده هى الحياة المليئة المفعمة بالاختبارات والتجارب العقلية والحيوانية . فغرائز الانسان حقائق لا الى سبيل الى انكارها ، تتساوى فى ذلك والميول العقلية ان لم تفضلها . فالفلاسفة والمتصوفة والنساك والعلماء المتخصصون ومن على شاكلتهم الذين يحصرون أنفسهم فى وجه واحد من أوجه النشاط الانسانى المتعددة انما هم مخلوقات مسيخة سقيمة هزيلة تنبعث منهم رائحة التعفن والفساد . كل من يحكم على نفسه بالسجن المؤبد فى عقيدة واحدة أو لون واحد من الوان الحياة انما هو رجل تعس مقضى عليه . فالحياة

الحقة انما هى الحياة الحرة الطليقة ، التى لا تخضع لنظام أو قيد خاص . كالغناء المطلق فى جمع الثروة واكتناز المال والخضوع لشهوة السيطرة والتغلب وطلب المجد . فهذه كلها شر لانها تستعبد وجود الانسان كله وتقف بينه وبين الحياة الصحيحة . يجب ان يعيش الانسان قبل كل شىء بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى . ويمكننا أن نلخص فنقول ان مبدأه فى الحياة هو الفرد يعيش عيشة ممتلئة موفورة لا يقيد نفسه بالمثل العليا والقيم المجردة . ليفعل ما يشاء . فالنفس البشرية ليست كلا واحدا متسقا وانما هى اشتات والوان مختلفة . فيها ما ينزع الى المتاع الجنسى الطبيعى وفيها ما يرغب فى المتاع الجنسى الشاذ . وهكذا . ولا يمكن عنده أن نقول هذا حق وهذا باطل

اما الأمر الثانى وهو الذى دفعنى مباشرة الى اتخاذ هذا المفكر موضوعاً للبحث فهو تحوله ، فى هذه السنين الأخيرة عما كان قد ذهب اليه ، تحولا غريبا يدعو الى الدهشة والاعجاب معا . ففى كتابه الأخير «الغايات والوسائل» نراه قد اصطنع التصوف . واعترف بالمثل والقيم المجردة . ولكنه تصوف من نوع جديد . هو تصوف القرن العشرين الذى يتميز به هؤلاء الكتاب العلماء الفنانين الذين تحدثت عنهم منذ لحظة .

فالانسان ، كما يقرر فى هذا الكتاب ، لا يستطيع أن يفعل ما يشاء . انما هو مقيد بمثل عليا وقيم خاصة يجب أن يأخذ نفسه بها اذا أراد أن يكون جديرا بان يسمى « انسانا » وان يبلغ من حياته ارفع أنواع الحياة واعلاها مرتبة . فقد استطاع بعد دراساته الواسعة أن يصل الى قيم ثابتة . والى معايير صحيحة يستطيع أن يزيد بها ثبوت هذه القيم وفائدتها للحياة الانسانية العالية . وهو يعلل هذا التحول تعليلا لا يخلو من الفائدة والطرافة . فقد سار فى التيار الذى سار فيه غيره من العلماء . وآمن بالعلم ايمانا جعله يصطنع هذه النظرة الكلبية الساخرة الهازئة الى الحياة . ورغب مثلهم متعمدا أن يتخذ التفسير العلمى للحياة وسيلة لتجريدها من القيم والمثل . والدافع الى هذا هو ما كان يراه حوله من الجمود فى كل مظهر من مظاهر الحياة . السياسية والاجتماعية والاقتصادية الخ . فحينما يريد الكاتب تحطيم القيود والاغلال الموضوعة على النظم الاخلاقية والسياسية فانه يعمد الى سلب الحياة من معانيها جملة حتى يستطيع بذلك أن يبيح معاييره الجديدة فى الاخلاق والسياسة . ولقد عانت الحياة الجنسية من الضيق والعنت الشىء الكثير . فليهدم اذن القيم والمثل من أسسها ليستطيع أن

يضع الحياة الجنسية فى الموضع الذى يليق بها تحت الشمس .

أما المعيار الذى يقيس به القيم الاخلاقية التى يعرضها علينا فهو الاجماع . فى الاربعين قرناً الاخيرة نجد اتفاقاً عاماً فيما يتعلق بماهية الغاية العليا للحياة الانسانية . فمنذ عهد اشعيا الى كارل ماركس يتحدث الانبياء والحكماء والشعراء فى صوت واحد ونغمة واحدة . فى العصر الذهبي الذى تطلع اليه حكماء هذه الاجيال نجد الحرية والسلام والعدالة « الحب الأخوى » فى هذا العصر ولن نجد أمة تجرد سيفاً على أمة » وفيه « نجد معرفة الله تغمر العالم كله كما تغمر المياه المحيطات » هذه القيم الاخلاقية لم يكتشفها العلم وانما استطاع أن ينفذ اليها الحكماء والفنانون والانبياء ببصائرهم . وانحدار الانسان من درجة منحطة من درجات الوجود لا تقلل من شأن هذه الحياة الروحية الرفيعة التى استطاع أن يكتشفها بعد أن كملت له الوسائل ومهدت أمامه الطرق الوعرة الطويلة التى قطعها فى سيره نحو الارتفاع والاكتمال . فمقياس الحضارة ليس السعة والترف المادى وانما هو فى التنبه للجمال وادراك المثل والقيم . انه فى هذه الالفة الباطنية التى تكون فى نفس الانسان وفى الفرح الداخلى . أنه فى هذا التوافق والتجانس بين نواحى النفس المختلفة . والانسان الكامل هو ذلك الذى يشعر بوحدة الوجود ويجد فى نفسه القدرة التلقائية السهلة اليسيرة على الاندماج فى الكل ، فى الانسانية عامة . أنه هذا الذى يستطيع أن ينبض قلبه بما تنبض به قلوب المخلوقات عامة ويشاركهم فى صفاتهم الانسانية العامة . هو هــذا الذى يستطيع أن ينفصل من وجوده الشخصى ويتحرر من قيود الضرورة التى تقيده بها طبيعته الحيوانية . وفى كلمة انه هــذا الذى يقرب الحياه بمزاج الفنان : فمعنى الرقى فى الانسان. انما هو تأكيد الانسانية فيه ، وليس الارتداد به الى الحيوانية وتأكيد الحيوانية فى الانسان وتركيز الضوء على المتاع الحسى فيه انما هو من غير جدال رجوع به الى أطواره الأولى فى أشكاله السابقة ، الى الفطرة والتوحش . وعلى هــذا الأساس نستطيع أن نقرر الفضائل العليا . انها هذه التى تساعد الانسان على الارتفاع والتجرد عن وجوده الفردى وميوله الشخصية . فالترف المادى والتكالب على جمع الثروة والاستسلام لشهوة البطش والسيطرة وحب التفوق ، كل هذا يؤكد فى الانسان فرديته ويزيده ارتباطاً بشخصيته المحدودة ويصرفه عن الغايات الانسانية الرفيعة . وأشباع الرغبة الجنسية لايخرج من هذه القاعدة

وهو الى هذا يعتمد على رأى الدكتور «انوين» فى علاقة الدافع الجنسى بالتقدم الثقافى للانسان ويلخص هذا الرأى فى ان الجماعات الانسانية تنقسم من حيث تقدمها الثقافى الى أربع طبقات : الحيوانية ، الانسانية ، الالهية ، العقلية . ففى الجماعات التى تقع فى التقسيم الأول أى الحيوانية ، نجد العلاقات الجنسية سهلة مباحة بلا روابط تقيدها . ثم يلاحظ أن انتقال الجماعة من طبقة منحطة الى طبقة أعلا يصاحبه ضغط وتنظيم للعلاقات الجنسية . ومعنى هذا أن كبت الغريزة الجنسية يساعد على نمو الأمة الثقافى : ومن هذا يتضح لنا أن رأيه فى العلاقات الجنسية يدخل فى قانونه الخلقى العام ومعنى هذا أنه يدعو الى التسامى والكبت وضبط النفس . والرأى الذى يزعم ان الانسان يستطيع أن يتمم باللذاذات الجنسية والعقلية معاً انما هو زعم باطل . فما لاشك فيه هو أن أشباع الرغبات الجنسية والحسية لايتم فى الغالب إلا على حساب المتاع العقلى والتقدم الثقافى

ومما لاشك فيه ايضا ، اننا فى أشد الحاجة الى هذه النظرة الحديثة التى يصطنعها هكسلى كأحسن وأبدع ما يكون الاصطناع الى النظر الى الحياة هذه النظرة الانسانية الجامعة . الى أن نبعث فى أنفسنا هذه النظرة الصوفية العلمية الى الحياة ، فى حاجة الى الدراية بالعلم الحديث كأحسن ما تكون الدراية الى تنظيم حياتنا الاجتماعية والاقتصادية تنظيما يرتكن على خير ما وصلت اليه العلوم الاجتماعية والاقتصادية والبيولوجية الحديثة ، وفى الوقت نفسه نحن فى حاجة الى شىء كثير من صلابة الخلق وضبط النفس وقوة الارادة . أو هذه الفضائل الخلقية الكبرى التى نصل اليها برياضة النفس رياضة صوفية على نحو ما يفهم هكسلى من هذه الكلمة . فلا نترك الدوافع الجبرية تتحكم فى أعمالنا وسلوكنا وانما نصدر فى كل ما نفكر أو نعمل عن دراية ووعى . فنتمسك بمبادىء العقل وفضائله البنائية المثمرة ونزهد فى اللذات الطارئة التى يدفعنا اليها كياننا الحيوانى واستجاباتنا الغريزية الاولى . وهذه الحضارة الاوربية الممسوخة المنتشرة فى مصر الآن ليست الا تجسيم براق خلاب لهذه الاستجابات الغريزية التى تتصل بكياننا الحسى . وفى عبارة أخرى نحن فى حاجة الى استنبات نوع جديد من الغرائز أستطيع أن أسميها «بغرائز الروح» وفى هذه الحالة يصبح البحث العلمى والرغبة فى اصلاح المجتمع والارتفاع به واصطناع الميول الانسانية فى مقدمة الرغبات التى تملأ صدر الانسان . فيتهافت عليها بوجوده كله فى رغبة جارفة كما كان يتهافت من قبل على اللذات الحسية ولعب الورق وميادين السباق

فرعونية مصر الحديثة

للدكتور اسماعيل ادهم

أما ان مصر الحديثة فرعونية فهذه حقيقة لا تتطرق اليها الريب ، ذلك ان مفهوم الفرعونية عندى قائم على أساس من وحدة الحياة الماشية والشعورية التى تتمشى فى ثقافة المصريين التقليدية حتى العصر الفرعونى . فنحن حين نقول أن أدب العقاد قائم على أساس من الروح الفرعونية فانا أعنى أن الروح المصرية تظهر فى خلجات نفسه ونبضات قلبه ، بدون أن أجعل للاشكال والمظاهر الخارجية نصيا فى الدلالة على هذه الروح

فان المظاهر الخارجية وأشكال الاشياء تحاكى وتقلد ، ولكن الروح التى تعبر بخلجات ونبضات من مزاج خاص لا يمكن أن تحاكى وتقلد . وأنت يمكنك أن تلمس وحدة هذه الخلجات والنبضات الداخلية بين مصريى اليوم العريق الاسباب فى مصريتهم وبين مصريى الامس الغابر الى عهد الاسرات الاولى . ذلك أن مزاج الانسان نتيجة للبيئة الطبيعية المتفاعلة مع عوامل المحيط الاجتماعى ، والبيئة المصريه لا تزال على وتيرتها الاولى ، خصوصا فى ريفهم حيث ينزل معظم سكان البلد

أما المحيط الاجتماعى فقد تغايرت صوره من عهد الى عهد ، الا أن هذه الصور تقوم على أصل من الروح المصرية القديمة تظهر ملونة تفكير المصرى وسلوكه فى الحياة وشعوره بالاشياء تلوينا خاصا ، هذا التلوين أثر من آثار الطبيعة المصرية المتفاعلة مع العوامل الخارجية التى وجدت طريقها للمحيط المصرى

فالمصريون مثلا غيروا لغتهم القديمة باللغة القبطية ، التى هى لهجة منها ، ثم بادلوا بتلك العربية

ولكن بقيت فطرتهم تفعل فعلها فى اللغة العربيــة ملونة اياها بلون خاص تبدو واضحة فى اللهجة المصرية .

فنحن لو ذهبنا نقارن بين اللهجة العربية فى مصر واللهجة العربية فى سوريا فاننا نجد أن الاختلاف بين اللهجتين لا يقف عند حدود النطق وطرائق الـكلام والاعراب ، انما هو اختلاف ابعد غورا من ذلك يتصل بانتخاب المفردات وبكيفية نطق احرف الهجاء الاصليـة ، وفى التعبيرات النحوية وصيغة معانى الجمل

فلهجة السورى اذا نطق بالعربيــة هى أن يمد أواخر الـكلم ويضع نبرة مخصوصة على عجز الـكلمة ، وكثيرا ما يعمد لابدال النون الاخيرة فى الكلام ميا ، وينطق التاء المربوطة تاء مفتوحة هذا وتعطيش الجيم عند السورى يخالف عن نطق المصرى تماما ، ومع هذا فان أهل الصعيد ابتداء من المنيـا فصاعدا ينطقون الجيم معطشة ، ولـكن مختلفة عن تعطيش السوريين والعرب . هذا الى ان اهل مديرية جرجا وما جاورها يبدلون حرف الدال جيما والجيم دالا فيقول ديل عوضا عن جيل ودوه بدلا من جوه كما أنهم ينطقون اجلم بدلا من ادلم

هذه تحقيقات معروفة عند الباحثين ولكن الذى يهمنا منها الموافقة بين نطق هـذه الحروف العربية خصوصاً فى الوجه القبلى فى مصروما يماثلها من الحروف فى القبطية ، مثال ذلك : طريقةنطق حرف الجيم العربى توافق تماماً طريقة نطقه فى الحرف المقابل له فى اللغة القبطية ، وهـذا النطق كما يقدر الباحثون يختلف بالمرة عن نطق حرف الجيم فى سائر الأرض التى تتكلم بالعربية . كذلك النطق بحرف القاف جيما جامدة كما هو شائع فى لهجة اهل المنيا وأسيوط فهو عين الشىء الحادث فى اللغة المصرية القديمة لما كتبت بالحروف اليونانية لتكوين اللغة القبطية .

هذا والتغيرات الحادثة فى الحروف المقفلة والمتحركة فى لهجات مصر العربية الحالية هى بعينها نفس التغيرات والاختلافات التى كانت موجودة فى اللهجات القبطية القديمة الموافقة جغرافيــاً للهجات الجهات العربية الحالية فى مصر الحديثة. مثال ذلك مد بعض الحركات فى الصعيد وتقصيرها فى القاهرة ، وترخيم بعض الحركات فى الصعيد وحفظها القاهرة والبحيرة . ولنا ان نصل من هـذه الحقائق المعروفة الى ان اللهجة العربية فى مصر متأثرة بطريقة اللهجة القبطية القديمة . وانت يمكنك

عن طريقة دراسة لهجة كلام المصرى ان تعرف اصوله القديمة فى عصر ماقبل الاسلام وهل هو عريق فى مصريته ، ومن اى المقاطعات كان اصله . ذلك ان طريقة نطق الكلام ولهجة الانسان تتأثر بعوامل محيطه الاجتماعى فى السنين الخمس الاولى من حياته كما تحقق هذا فى بحوث علماء النفس ، وعلى وجه خاص البروفسور وندت فى كتابه « ولكر بسيكولوجى » .

ثم عندك الدين الاسلامى ، فلا يزال ليومنا هذا فى مصر الحديثة يحمل فى طياته آثار الماضى السحيق ، تظهر فى خلجات المصرى فى عبادته وعلى وجه خاص فى طرائق عبادته . مثال ذلك ان المصريين القدماء كانوا يعبدون ويقدسون الثعبان — فى مقاطعة عرفت فى لغتهم باسم مقاطعة الثعبان وفى اللغة المصرية القديمة «جوحق» — وهذه المقاطعة معروف عن سكانها انهم كانوا يقدسون الثعبان من العصر النيوليتيكى ، ذلك قبل ان يقوم عصر الحضارات فى مصر القديمة . وظلت عبادة الثعبان قائمة فى هذه المقاطعة ، يحج اليها اهل المنطقة فى كل عام فى الربيع ، يقدمون القرابين والذبائح لحارس الارض « مرت سجر » الذى كان يتمثل فى شكل ثعبان . ويظهر ان هذا الاعتقاد كان مصدره ملاحظة ان الثعبان يعيش تحت الارض ، الشىء الذى قوم فى اذهان ابناء تلك العصور الغابرة فكرة ان الثعبان اقدم سكان الارض ، ومن هنا كان تقديسه واعتباره حارس الارض .

فلما جاء العصر الاسلامى ومن قبل العصر المسيحى ، اختفت عبادة الثعبان فى هذه المقاطعة وراء الاعتقاد المسيحى ثم الاسلامى . واليوم يعتقد اهل هذه المقاطعة ان الضريحين القبيين فى المغارة الواقعة فى هذه المقاطعة لشيخ تعرف المغارة باسمه وكذا الجبل الذى تقع المغارة فيه ، كل كراماته انه ولى يسكن هذه الارض المقدسة ويحرسها .

هذا هو الشيخ هريدى وهو فى الواقع حارس الارض « مرت سجر » القديم ، وقد لبس ثوبا جديداً بعث به الى الحياة فى العهد الاسلامى . ولايزال اهل هذه المقاطعة يحجون الى هذا الضريح الذى لم يكن يحتوى الا على ثعبان من البرنز له رأس يقرب من رأس الاله زيوس كما دلت على ذلك الحفريات التى جرت فى تلك المقاطعة . ومن الغريب ان موسم الحج لهذا الولى يقابل موسم الحج عند قدماء المصريين الى « مرت سجر » حارس الارض الذى كان يتمثل فى شكل الثعبان .

هذا المثال واضح فى الدلالة على ان الروح المصرية القديمة تجد طريقاً للظهور فى مصر الحديثة

من وراء الاشكال التى تبدلت والصور التى تغايرت بنتيجة المدنيات والحضارات التى تعاقبت على مصر ، فى فترة مداها الفا عام . ومهما حملنا انفسنا لتفسير هذه الظواهر من الجهد لنبعد بها عن الاقرار أن مصر الحديثة فى خلجاتها ونبضات شعورها فرعونية ، فاننا نصطدم بالواقع الذى لايمكن انكاره ، وهو أن مصر على ما انتابها من التغاير فى صورها الخارجية ، لاتزال فرعونية فى صميمها ، وهذه الفرعونية قائمة فى خلجات نفسها وصورة هذه الخلجات فى خروجها عن النفس .

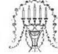
اذا جعلنا هذه الحقائق موضع الاعتبار ، عرفنا حقيقة ماتستند اليه مصر الحديثة من الروح الفرعونية . ولايعترض علينا بما اعترض به عباس محمود العقاد فى مقاله « بقية السحر والمثنوية » على الكاتب الانكليزى مورتون من ان هذه الخلجات لاتنقل الا بالاسس التى تقوم عليها من النوازع النفسية الخالدة ، وليس منها الايمان بمكان محدود او ولى مخصوص ، بل ذلك من العرف والتقليد ، لان تنقل هذه الاسس بصورها التى تستمدها من العرف والتقليد كما ظهر لنا من المثال الذى اعطيناه لاتترك امكاناً لمثل هذا القول .

وبعد فتفسير هذا عندنا واضح من الوجهة العلمية على اساس من التفرقة بين الثقافة التى تأخذ الامة والفطرة التى جبلت عليها . فثقافة الامة تراثها الشعبى التى خرجت به من ماضيها انسلالا على مدى الدهور والاعوام ، وفطرتها هى روحها التى تحتضن هذا التراث . فمثلا تراث مصر الفرعونية الذى اسلمته لمصر الاسلامية فاختلط نتيجة لذلك التراث الفرعونى باللون العربى الذى وجد طريقه للمحيط الاجتماعى المصرى ، فكان من ذلك مانسميه الثقافة التقليدية لمصر . وهذا شىء والروح المصرية شىء آخر ، لان الثقافة أثر وقوع الفطرة والروح تحت تأثير ظروف ومؤثرات تجد طريقها للمحيط الاجتماعى والبيئة الطبيعية للشعب . والروح بعد ذلك شىء يظهر ولكن لايحد من بين جميع مظاهر ثقافة الشعب وتراثه . بيان ذلك ان مصر الفرعونية بتقاليدها وصور ثقافتها ولهجاتها حين انتهت لمصر الاسلامية ، فان مصر الاسلامية ، لم تطغ على مصر الفرعونية الا فى الظاهر ، لان ما انتهى الى محيط مصر الفرعونية من العوامل التى قامت نتيجة للاسلام ، وقعت تحت تأثير المحيط الطبيعى والاجتماعى لمصر ، فلونتها بلونها المصرى ، او هى ان اخذت اللون الاسلامى على الاصح ،

الا انها بقيت فى جوهرها فرعونية النزعات والاتجاهات ، وهذا يفسر لنا القالب الاسلامى والعربى لمصر الحديثة من جهة والروح الفرعونية من جهة اخرى . واذن لا تناقض فى ان تكون مصر الحديثة عربية اسلامية فرعونية ، فهى عربية اسلامية فى مظهرها ، فرعونية فى خلجاتها ووجدانها . وبعد اظن هذا التفسير كاف ليقطع السبيل على كل اعتراض يمكن توجيهه لمصر الفرعونية .

ولاشك ان مصر الحديثة تقطعت فيها مظاهرها العربية الاسلامية تحت تأثير التفاعل بين محيطها الاجتماعى ومدنية الغرب الجارفة ، ولقد وجدت الروح المصرية فى ذلك مجالا للظهور ، كان احدى علائمه تجليها بقوة فى كتابات عباس محمود العقاد وفى الهياكل التى خلفها مختار وفى الصور التى رسمها نفر من الفنانين المصريين نذكر منهم حسين بدوى صاحب اللوحات الفنية التى عرضت بالمكتب المصرى للسياحة بالشانزليزيه بباريس فى اغسطس من العام المنصرم .

على انا بعد ذلك يجب ان نكون على جانب كبير من الحيطة والدقة فى تناولنا الخصائص الفرعونية التى تقوم طبيعة الشعب المصرى وتبعده اليوم عن العالم العربى ليستقل بحياة تتكافأ فيها طبيعته الفرعونية وقالبه العربى بالمدنية الغربية التى وجدت السبيل الى محيطها . واظننى وقد فسرت مايعنى من اصطلاح الفرعونية من الوجهة العلمية ، قد جعلت امام الباحثين فى الاقطار العربية مادة ان لم تقنع على الاقل بعض الباحثين الذين اخذوا بفكرة العروبة ، فعلى الاقل تجعلهم يعرضون لبعض الشبهات التى توجب عليهم الحذر ، حينما يدخلون فى مناقشة علمية حول مصر الفرعونية



ابدأ بنفسك

للاستاذ أنور مشرقي

نشرت الصحف فى الشهر الماضى أن الحكومة المصرية تبرعت بمائتين وخمسين ألفا من الجنيهات لاصلاح مكة والمدينة المنورة والطرق المؤدية لها ، وهذا العمل يقابل بالشكر وعرفان الجميل وخاصة من الدول الاسلامية التى يهمها أمر اصلاحهما ، ولكن المصلح الاجتماعى فى مصر يقف امام هذا الأمر موقف المتأمل المفكر متسائلا نفسه هل أصابت الحكومة أم أخطأت ؟

إن المتتبع للنهضة الاجتماعية فى مصر يحس والحسرة تملأ نفسه سير هذه النهضة البطىء بل وقوفها فى بعض النواحى عن السير بما يحاول فى هذه الكلمة التصوير واستعراض بعض نواحيها .

إن الحالة الصحية فى مصر توحى الى الباحث بأن المصريين شعب يسير فى طريق الانحلال السريع ، فالاحصاءات تقول لنا إن المرضى بمرض السل يبلغ عددهم حوالى النصف المليون مريض وان من يموت منهم سنويا يبلغ أربعين ألفا فاذا ما طالب الكتاب الحكومة بتعميم المصحات فى القطر المصرى كانت اجابتها التقليدية أن لا نقود !!

بل إن هذه الاحصاءات تعطينا أرقاماً مزعجة عن أمراض البلهارسيا والانكلستوما والجذام والبلاجرا (مرض الفقر والجوع) والرمد الحبيبى وغيرها كما تعطينا نفس الارقام عن العميان والمصابين بعاهات دائمة لا يمكن البرء منها ، فاذا ما قامت الصحافة منادية بانشاء مدارس للعميان وملاجىء للعجزة واليتامى وأبناء السبيل سمعنا الجواب المعروف ... المالية لاتحتمل عمل كل هذا !

منذ ثلاثة شهور تقريباً أدلى وزير المعارف ببيان قال فيه أن ٧٠ فى المائة من تلاميذ المدارس الاولية مصابون بأمراض صدرية نتيجة الجوع وان هذا يهدد الجيل القادم بأخطر الامراض فقامت قيامة مجلس النواب لهذا ولكن الصيحة لم تتعد جدران المجلس لان الوزارة لاتستطيع أن تقدم وجد

طعام يومية مجانية للتلاميذ والسبب معروف مقدماً ، خلو الخزانة من المال ..

وأذكر منذ عام أن قيامة الرأى العـام فى مصر قامت لان مستشفى قصر العينى يلقى فى الطريق المرضى بامراض مزمنة استحال شفاؤها وان رد المستشفى كان ان الاماكن مزدحمة جـــداً وان محل هؤلاء هو ملجأ يشرف عليه أطباء ولكن هذا الملجـأ لا يزال حلم أولئك المرضى — نزلاء الطريق الساكين — لان المالية المصرية ليس فيها ما يكفى من المال !! بل ان النـــاظر للزحام أمام أبواب المستشفيات فى مدينة القاهرة ، وكيف يضرب المرضى ويطردون لضيق الاماكن ليغمره الحزن والاشفاق والحـكومة المصرية غير ملومة بالطبع لان عذرها معها .. الخزانة لاتسمح !!

ويضيق بنا المقام إن حاولنا بسط الحـالة الصحية فى صميم الريف والماء الذى يشربه الفلاحون والاكواخ الحقيرة التى هى أشبه بالمقابر والتى يشاركهم فيهـا الحيوان على قدر المساواة ، استغفر الله بل يفوقهم ، لانه يشبع من الحشائش وهم لايشبعون من الخبز ، ويكفينى هنا أن أورد الاحصـــاء القائل بأن سبعة ملايين ونصف من المصريين يعيشون فى المتوسط بجنيه أو نصف الجنيه فى الشهر !! واذا قلنا فى المتوسط فهذا معناه إن هناك من يعيش بخمسين قرشاً فى الشهر وآخر يعيش بخمسة أضعاف هذا المبلغ الحقير .. [illegible] !!

هذا هو الريف الغارق فى ظلمات الجهل والفقر والمرض لاتستطيع الحكومة أن تمد له يد الاصلاح بكثير أو قليل لان المال غير موجود !!

أما حالة التعليم والمتعلمين فقد تبين من الاحصـــاء الاخير أن عدد المتعلمين فى مصر « وكلمة معلمين تشمل كل من يعرف القراءة والكتابة » هو ١٠ فى المائة وان عدد حملة الشهادات « بما فيها الشهادة الابتدائية » هو نصف فى المائة وهذه نسبة ضئيلة جدا اذا ما قارناها بدول كسويسرا مثلا حيث تقرب نسبة المتعلمين من ١٠٠ فى المائة

ويقرأ الناس أول كل عام دراسى فى مصر فى الصحف شكوى مرة لضيق الامكنة فى المدارس بأنواعها ثم استعمال وساطة الكبراء وذوى النفوذ لدخول هـذه المدارس فاذا ما طالبت الصحف الحكومة بزيادة الامكنة كان ردها المعروف الميزانية لاتحتمل !!

بل ان الشىء الذى يدعو الى الاسف حقاً أن كلية الحقوق بالجـامعة المصرية تغلق الاسبو

الماضى على لوحة اعلاناتهـا اسم ٤٣ طالبا فى السنة الثالثة مهددة ايام بالفصل النهـائى إن لم يسددوا القسطين المدرسيين الاول والثانى فى مدة قصيرة ، فاذا سعى أولياء أمورهم « وجلهم فى ضائقة مالية شديدة » لاعفائهم من الرسوم هذا العام قوبل سعيهم بالرفض لان مالية الجامعة محدودة !!

بل أن نظرة سطحية نلقيها على حالة الطرق فى مصر « ومن أهمها الطريق الموصل بين القاهرة واسوان » لتبين لاول وهلة ضيقها وتهدمها وسوء تنظيمهـا ، فهى لاتزال يكسوها التراب تغوص فيها السيارات وأرجل الماشين والدواب . ولم نذهب بعيدا و كثير من الطرق فى مدينة القاهرة قذر مظلم لاتعرفه مصلحة التنظيم ، فاذا ما طالبها الاهالى برصف طريق أو ادخال نور اعتذرت بقلة المال وسوء الحال !!

وماذا نقول أيضا عن أزمة المتعلمين العاطلين وتبرمهم بحياة البطالة والكادر الجديد و كيف ضيق سبل العيش حتى أوجد فى درجاته درجة تاسعة يتقاضى الموظف فيهـا ثلثمائة قرش فى الشهر خاضعة لضريبة الدخل والايراد !! وعذر الوزارة فى اصدار هذا الكادر البغيض « بالنسبة لصغار الموظفين فقط » ان المالية المصرية لم تعد تحتمل المرتبات الضخمة الكبيرة !!

بل ماذا عسانا نقول عن التزامات مصر الحديثة من زيادة عدد الجيش وتزويده بالطائرات والمدافع الحديثة و الدبابات ، والتزاماتها بمد الطرق ، وبناء الثكنات العسكرية ، هذه الالتزامات التى تثقل بحق كاهل الشعب المصرى ؟

أليست هناك مشروعات لتجفيف المستنقعات فى شمال الدلتا وتحويلها الى أرض زراعية فتخفف بعض الشىء ضغط السكان على الاراض المنزرعة الآن ؟

أليس هناك اقتراح يرمى الى انشاء بنك صناعى يعطى سلفيات لآجال طويلة حتى يساعد على نشر الصناعات الصغيرة فى مصر ؟

ألم يفكر رجال الرى فى مصر فى تنظيم رى وصرف الحياض فى الوجه القبلى بجعله ريا دائما سنويا بحيث يستطاع زرع الارض فى العام الواحد ثلاث مرات بدلا من مرة واحدة ؟

ألا تلح وتصرخ المجالس البلدية والمحلية فى غالبية بلاد القطر المصرى فى طلب اعانة لادخال الكهرباء وماء الشرب ومد المجارى ؟

كل هذا لم يتعد الأوراق لأن المالية المصرية لاتتسع له ولكنها تتسع للهبات والتبرعات !!

إن ثلاثة أرباع المصريين ، ان لم يكن أكثر من ذلك ، يعيشون فى دنيـا تزخر بالألم والحرمان والجوع بينما تجود الحكومة بالمال ذات اليمين وذات اليسار .

وأعود بعد هذه الجولة القصيرة الى موضوعنا الأصلى فأقول هل أصابت الحكومة فى التبرع بربع مليون من الجنيهـات لبلد كالحجـاز فى وقت قد اكفهر فيه وجه السياسة الدولية وكلمة الحرب تتردد على كل لسان ، وفى وقت نحن أحوج مانكون فيه للاصلاح الداخلى ومواجهة الطوارىء وتنفيذ الالتزامات العسكرية رغم ما فيها من الارهاق ؟؟

كم كنا نحب أن تتئد الحكومة فى تقرير هذا المبلغ الكبير وألا تجرى وراء النعرة الدينية فى الوقت الذى تقبض فيه الدول الاسلامية الاخرى يدها عن هذا البذل ، والمثل يقول ابدأ بنفسك ثم بمن تحب



الحجز

طلب تجار الاسكندرية من الحكومة سن قانون جديد يجيز للتاجر ايقاع الحجز على مرتبات موظفى الحكومة

ونحن لا نشك فى أن الحكومة سترفض هـذا الطلب . لان الانزلاق فى الدين سهل والتخلص أو التملص منه صعب . ولايمكن الموظف أن يؤدى عمله اذا كان باله من الديون فى بلبال

بل نحن نرى أنه يجب أن يزاد الاعفـاء من الحجز . فان أدوات الفلاح وآلاته وجاموسته . بل كذلك منزل الاسرة يجب كل هذه أن تكون بعيـــدة عن الحجز حتى يستقر الاجتماع ويطمئن الناس الى العيش . ولنا أسوة فى ذلك بكثير من الامم الاوربية مثل المانيا وسويسرا الخ

الجوع فى مصر الغنية

قالت جريدة الاهرام : روينا امس الاول بين « حوادث القاهرة » نبأ محاولة « على عوض » الانتحار فى ميدان الخديوى اسماعيل بان اشعل النار فى نفسه . فاسعف بالعلاج ونقل الى المستشفى وقد تلقت النيابة امس نبأ بوفاته متأثرا باصاباته . وقد كشف التحقيق واقوال المصاب التى ادلى بها قبل وفاته عن ماساة دامية نلخصها فيما يلى :

فقد كان هذا الشاب يقيم فى بلدته بنها ويعمل فى احد المخابز باجر كفل له ان يعيش فى سعة . ولكن استخدام الماكينات فى المخابز ادى الى توفير الكثيرين من العمال ، وكان هو منهم ، ففقد وظيفته منذ ثلاثة اشهر . وحضر الى العاصمة سيرا على الاقدام . واخذ يبيع ملابسه قطعة قطعة ويقتات بثمنها ، حتى لم يبق من ملابسه الا مايستر به جسده

وقبيل الحادثة باسبوعين ، اصبح ولامستقر له ، يهيم على وجهه فى الطرقات وحاول ان يستجدى فلم يفلح ، وصار يطوف بالحدائق ويلتقط اوراق الخس وقشور اليوسفى ويقتات بها ، فاذا جن الليل آوى الى احد صناديق القمامة بميدان الخديوى اسماعيل حتى الصباح

وكاد الجوع يفقده عقله ، فتوجه الى المحافظة وقابل احد الموظفين وطلب اليه ان يعمل على دخوله السجن حتى يضمن القوت والمأوى . فسخر منه الموظف واشار عليه بارتكاب جريمة سرقة حتى يدخل السجن . ولما اخبره انه لم يعتد السرقة انصرف عنه الموظف . فذهب الشاب الى قسم السيدة زينب وطلب من الضابط ان يسجنه فطرده من القسم وعند ذلك انصرف وهو يكاد يسقط اعياء من فرط الجوع

وفى مساء الحادث توجه الشاب البائس الى صندوق القمامة ليقضى ليله فيه . فتصادف مرور احد الوجهاء وكان ثملا ، فاخذ البائس يستعطفه ويستجديه مايسد به رمقه ، وقدروى لهقصته فاعطاه مليما وانصرف فتناول الشاب المليم وقلبه يكاد ينفطر ، لما شعر به من الهوان

واخيرا ضاقت الدنيا فى وجهه . فآثر ان يبتاع بالمليم بترولا ليحرق نفسه ويتخلص من هذه الحيـــاة . ولم يلبث ان نفذ ماقام بذهنه فابتاع كمية من البترول ، وصبها على ملابسه واشعل النار فيها . وهكذا اسدل الستار على مأساته الموجعة

لمحة في الادب الروسي

للاستاذ حليم متري

اذا كان تاريخ الادب الروسي يعود الى القرن الحادي عشر فان القليل الجيد منه ما صدر منذ ذلك العهد حتى القرن الثامن عشر . فان «سيار كوف» (١٧١٨ — ١٧٠٧) كان أول روسي يعتقد أن الأدب قد يمكن اتخاذه مهنة . فقد جرب الشعر والخرافات والمآسي وأثرت كتاباته في الادب الروسي حتى عصر «بوشكين» و «كرامزين» (١٧٧٦ — ١٨٣٦) وكرامزين هذا كتب تاريخاً حافلا للامبراطورية الروسية . وكتب اضعة روايات وقصص صغيرة وهو أول من استطاع من الكتاب أن يفصل عن اللغة الروسية الطابع الكنسي

أما «بوشكين» «ولورمنتوف» فكانا يمتان بصلة كبيرة الى العهد الرومانتيكي للقرن التاسع عشر ويعتبران الدعامة الاساسية التي قام عليها الادب الروسي الحديث . فلقد كانا شاعرين كبيرين ولقد كتبا قصصاً صغيرة في التقاليد الرومانتيكية ومن الخير أن تعلم انهما كانا أيضاً في صميم حياتهما من أصحاب الخيال حتى انهما ماتا قتلا في المبارزة

أما جوجول فقد كان أول روائي اقترب من الادب الواقعي . وفي قصته الكبيرة «الارواح الميتـة» يستعرض طوائف الشعب الروسي ويتحدث عنهـا . ولقد خلف جوجول ترجنيف ودستويوفسكي وتولستوي . الفرسان الثلاثة للقصة في الادب الروسي . ولو انهم كانوا من الفنانين باعتبارهم الثقافي الا أن أدبهم كان يتسم بالعمق والتوجيه لانه يعرض لمعضلات الحياة . ولم يكونوا في حياتهم الفكرية أو بمعنى أدق في حياتهم العقلية من أصحاب «الفن للفن»

ودونك «تشيكوف» الذي ذاع صيته عن طريق القصة القصيرة . فقد كان ظاهرة ملموسة في

الادب الروسى وكان أدبه — أدب الضرورة — ان صح هذا التعبير — وفيه روح الفكاهة والسخر مما ينتهى بالقارىء الى شيء من الالم غير قليل .. أما جوركى فهو أعظم أديب ظهر فى العصر الحديث وان كان فى عقيدة جوركى ذاته أن « يينين » أولى منه بهذا التقدير

وفى العشرة السنين الاولى لهذا العصر نشأت حركة جديدة كانت لها الصدارة فى الادب الروسى وتاريخه تلك هى الحركة الرمزية . ولحد ما خيل للكثيرين أنها تكاد تحتل مكانة « الادب الواقعى » لمدرسة الثورة ويعتبر «سولوجب ويبلى» من أئمة هذه الحركة وقادتها

بوشكين

شاعر من الامجاد الذين قام على أكتافهم الادب الروسى . تخرج من الليسيه فى «تساراسكوى» عام ١٨١٧ ثم اندمج فى المجتمع الروسى ولم ينسه هـذا الاندماج أدبه الذى عشقه بفطرته وسليقته والذى حببته الى نفسه مربيته . وفى عام ١٨٢٠ نفى الى القوقاز لكتاباته التى دعا فيها الى الديمقراطية والحرية مما كان يعتبر جريمة فى نظر أصحاب السلطة اذ ذاك . ولقد كان اضطهـاد بوشكين فرصة سانحة لازدهار أدبه . فقد أبعد ذلك الاضطهاد بوشكين عن تيارات الحياة الاجتماعية التى قد تؤثر تأثيراً سيئاً فى طبيعته الادبية أو نظرته الفنية . فاتجه بأدبه نحو الشعر الغنائى والقصص القصيرة . ومن أروع آياته الأدبية «بوريس جودونوف» التى تلمس فيها وحى شاكسبير «قويا» أما تأثير الشاعر «بايرون» عليه فقد لازمه حتى أتم وضع قصته الشعرية «اونيجن» ويقول «ترجنفا» أن الأبيات الاولى منها تفضل آثاره جميعاً وان كان الشاعر نفسه يضع «بولتافا» فى الصـدارة . فى هذه الملحمة الشعرية القوية استطـاع أن يؤرخ النزاع الذى وقع بين بطرس الاكبر وشارل الثـانى عشر ملك اسوج .

ان مكانة بوشكين فى النفسية الروسية المثقفة كمكانة الاغنية الجميلة فى نفوس العذارى بل أن خواطره الشعرية قد سايرت الزمن فانطبعت على المزاج الروسى كما ينطبع على لوحة العقل منظر ساحر كالبحر أو القمر . والآن أحب أن أتحدث عن قصته «صانع النعش» فى هذه القصة يرتفع بوشكين الى سماء النقد ليسخر من الاخلاق والعادات ويسجل فى غير تهيب تلك الحياة الاجتماعية التى يحياها العمال وأصحاب المهن الصغيرة والتى كتب عنها وعرض اليها غير واحد من أدباء روسيا . وانما الطابع

الذى يسود أدب هؤلاء الادباء أو النقاد — هو طابع السذاجة والوصف والايجاز على أن تؤدى هذه كلها الى تقرير الواقع دون إجهاد أو تحليل أو شرح للوصول للقارىء الى نتائج عملية أو منطقية ؛ الا ان بعض هؤلاء الادباء أو نقاد الاجتماع . ان استطعنا التحديد — وفى طليعتهم «ديستويفسكى» الادب المتصوف وجوركى قد استطاعوا أن يذهبوا مذهباً آخر فى النقد . اذ لم يخل أدبهم من التنديد بالمظالم التى سادت عصر القيصرية أو التى تفشت قبل عهد الجمهورية الشيوعية وقامت بقيام أقطابها . فتحدثوا عن الفقر والحياة الاقتصادية وأسباب المتاعب الاجتماعية وعن الاحرار وما لاقوه من نفى وتشريد وعن سيبيريا وما ارتكب فيها من آثام . وانك لتجدن ثنايا هذا النقد الصورة العارية التى يبرزها الناقد لهذا البلاء الذى خيم على أصحاب المذاهب والمبادىء من أحرار الفكر كما يوضح بأجلى بيان أساس الصراع الاجتماعى والفوارق القائمة فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية مما أدى الى حرب الطبقات، وقيام النظام الاشتراكى .

لم يتحدث بوشكين عن السياسة او الأدب أو التاريخ انما يتحدث فى هذه القصة عن الأجتماع . هو يصف الحياة الاجتماعية التى تخيم الطبقة من الطبقات التى تحترف الصناعات الصغيرة . وعن مظاهر هذه الحياة . هو يعنى بالوصف والعرض فى غير فلسفة أو تحليل بل هو يؤثر الاسلوب الذى يتمثل قصيته وطابعه . تلك النفسية الروسية الساذجة التى تتناول الحياة بصورتها الواقعة ولا تتأولها بالبحث والمنطق والاستدلال . هو اديب شاعر وقصصى بارع وهو وان كان قد اغرم بالأدبين الفرنسى والأنجليزى الا انه لايتقيد بهذا « الشك » الذى ينتهى اليه أدب « مونتانى » أو اسلوب ديكارت فى التفكير . بل انه لايجارى ادباء الأنجليز فى أنشاء القصة للمعانى الرفيعة فى الحياة . فهو لايعالج الأجتماع على طريقة « ولز » أو ينحو منحى « شاكسبير » فى عرضه للتاريخ أو فى الأجتماع بل هو يرسم الصورة كما هى وأنت تراها على النحو الذى تفهمه . هو قد يعرض للخير والشر والفضيلة والرذيلة والظلم والعدل والحب والبغض فى اخلاق الناس ولكنه لايعرض اليها فى تدقيق وتعمق بل فى ايجاز ويسر . ولقد يجد القارىء فى ادب بوشكين وجوهاً للشبه كثيرة بين شخوص قصصه وبين تلك التى وضعها بيرون وشاكسبير ولعلك تجد هذا الشبه قوياً فى اوينجن لبوشكين ودون جوان لبايرون. وفى كتاب تتيانا الى اوينجن و كتاب جوليا الى دون جوان . والقصة التى نعرض لها هى «حلم» ذهب فيه بطلها الى تحقيق ماكان يطمع فيه ويصبو اليه ولكنه صد يه بعض الشىء كما يصطدم بالحقيقة

الواقعة . وهذا النوع من التأليف ايضاً عرض اليه كثيرون من الادباء والقصصيين . وإذن فقد نرى تجانساً فى الفكرة بين قصص بوشكين وبين القصص الفرنسية أو الانجليزية . ولكن الروح أو الطابع فى أدبه يصدر عن النفس الروسيه وجالو الروسى واسلوب الحياة الروسية جميعاً . فالأدب الفرنسى أو الانجليزى قد يلهم بوشكين بوحى اليه ولكنه يتجه بهذا الالهام أو ذلك الوحى الى الطبيعة الروسية ليروى عنها ويتخذ منها أداة لأدبه وفنه

صانع النعش

وضعت آخر أمتعة أدريان بور كهوروف على عربته التى يحمل عليها الموتى . وترجلت فتاتاه الحزينتان للمرة الرابعة من باسمانيا الى نيكتساكيا حيث استقر ادريان فى بيته الجديد . ولقد أغلق حانوته القديم وكتب عليه اعلاناً للايجار أو للمبيع . ومن ثم ذهب ممتطياً قدميه الى داره الجديدة ولما اقترب من تلك الدار الصغيره ذات اللون الأصفر التى كثيراً ما أعجب بها حتى اشتراها بمبلغ كبير أدهشه من نفسه أن قلبه لم يطرب لرؤيتها . فاذا ماجاوز مدخلها وجد كل شىء مبعثراً فحن شوقاً لى داره القديمه حيث سادها الترتيب والتنسيق منذ ثمانية عشر عاماً . وطفق يعنف ابنتيه وخادمه على ابطائهم فى تنظيم الدار وبدأ يساعدهم بنفسه فى ذلك . ولقد نظمت الدار بأسرع مايمكن . فوضعت التوابيت مع الصور المقدسة . وزين الدولاب بالأوانى الخزفية . واحتلت المائدة والارائك والفراش غرفة خاصة

أما المطبخ وغرفة الضيافة فقد احتوتهما البضاعة التى يتجر فيها الرجل . نعوش من كافة الالوان والحجوم وخزائن تحوى قلانس الحداد ومعاطف سوداء ومشاعل . ولقد علق فى أعلى الباب لوحة تمثل كوبيد يحمل مشعلا منكسا ولقد كتب على اللوحة «هنا تباع وتجهز جميع النعوش الملونة والصافية (السادة) نعوش للايجار . وترميم النعوش القديمة »

وآوت البنات الى فراشهن أما «أدريان» فقد جال فى منزله الجديد ليعاين ما استقر عليه نظامه ثم جلس الى النافذة وأمر الخادمة بعمل الشاى

قد يعرف القارىء أن شاكسبير ووالترسكوت آثرا أن يخرجا « حفار القبور » فى رواياتها

البلغة من أصحاب المرح والجذل حتى يكون الفارق الكبير بين المهنة والخلق مثيرا لاعجابنا ولكننا مراعاة للحقيقة لانستطيع أن ننحو نحوهما بل أننا نعترف بان أخلاق صاحبنا كانت منسجمة مع مهنته الحزينة . لقد كان أدريان بروكهوروف فى معظم أوقاته وأغلب حالاته مكتئبا مفكرا . واذا تحدث فلكي يتبرم ابنتيه على كسلهما وتطاعمهما للسابلة من النافذة أو ليطالب ثمنا غاليا لنعوشه لمن يضطرهم سوء الحظ أو حسنه الى مشتراها . وبينا كان أدريان جالسا الى النافذة يشرب الشاى لسابع مرة . وانه لمطرق اطراقة طويلة فى لجة من الهموم . أخذ يفكر فى ذلك المطر الهاطل منذ اسبوع فى أثناء قيامه بالعمل فى مشهد ذلك القائد المتقاعد . لقد كان المطر سببا فى افساد المعاطف والقلانس . بل لقد ذهب منظر القلانس وبهت لونها . وكان لا بد له من مال وفير لاصلاحها حتى تعود سيرتها الاولى . وكان شديد الأمل فى تعويض هذه الخسارة من وفاة العجوز «تريكينا» زوجة التاجر التى يسعى اليها الموت منذ عام غير أن تريكينا كانت تعالج سكرات الموت فى قرية (راسجولياس) النائية . ولقد يلجأ وارثوها الى أقرب مجهز للدفن رغم وعدهم اياه الا يلجأوا الى غيره . وبينا هو فى هواجسه وأفكاره اذا بالباب يقرع ثلاث مرات فقال: من الطارق؟ فدخل رجل تلوح عليه علامات البشر والفرح. ولقد يرى فيه الناظر للمرة الاولى أنه صانع ألمانى: تقدم نحوه قائلا: معذرة يا جارى . الكريم قالها فى تلك البلاغة الروسية المصحوبة بابتسامة: معذرة لاقلاق راحتك وتطفلى عليك . لقد جئت اليك لاتعرف بك فقد أصبحت جارى : اننى صانع أحذية واسمى «جوتليب شولتز» وأعيش فى البيت المواجه لنافذتك وغدا أعد وليمة احتفالا باليوبيل الفضى لزواجى ولقد حضرت لادعوك وابنتيك الى هذه الحفلة. فتقبل الرجل الدعوة قبولا حسنا . ودعا الحذاء لشرب الشاى . وسرعان ما تجاذبا أطراف الحديث . وقال أدريان كيف حال العمل عندكم ؟ أجاب شولتز السوق كما تراها كاسدة . وأنا قدلا أشكو . فبضاعتى أقل رواجا من بضاعتك . فالاحياء قد يستغنون عن الاحذية فيسيرون حفاة ولكن الاموات لايستغنون البتة عن النعوش . فقال ادريان : ان ما تقوله حقا . ولكن افترض أن حيا مفلسا جاء يستجديك نعلا من نعالك . فقد لاتكون مجبرا أن تعطه . انه يستطيع ان يسير عارى القدمين اما انا فاذا ما لجأ الى ميت كان شحاذا على ان أهبه نعشا . وعلى هذا النحو دار بينهما الحديث ثم استأذن «الحذاء» فى الانصراف بعد أن وعد بعودته.

وفى ظهر اليوم التالى تأهب الرجل وابنتاه الى زيارة الجار ولعلى لا أطيل الوصف . فقد ارتدى صاحبنا قفطانه الروسى وتزينت « اكولينا وداريا » بالحلى وبدتا بعد وضع المساحيق فى ذلك المظهر الاوربى الجذاب . لقد لبستا المعاطف الصفراء والاحذية الحمراء التى تعودتا فقط لبسها فى المناحات والمآتم . وكان بيت الحذاء . ذلك البيت الصغير يعج بالمدعوين . اكثرهم من الصناع الالمان وكان بين المدعوين الروسيين رجل ساعاتى يدعو « يوركو » ورغم ضآلة مهنته كان محط انظار « ادريان » لقد كان يعمل « يوركو » ضمن قاندى مركبة « بوجورلسكى » حتى اذا نشب حريق عام ١٨١٢ الذى دمر العاصمة اتى ايضا على بيته الذى كان يصلح فيه الساعات فأعاد بناءه من جديد. ولقد كان يوركو معروفاً للالمان الذين يقيمون فى « نيكستا كيا » وكثيرون منهم كانوا يمضون عطلة الاسبوع تحت سقف بيته . وسرعان ما اقبل عليه ادريان يريد التعرف به فسوف يحتاج اليه إن عاجلا أو آجلا . ولما جلس الضيوف الى الخوان . جلس ادريان وصديقه جنباً الى جنب اما الهرشولتز وزوجته وابنتها لوتش الشابة الجميلة البالغة من العمر سبعة عشر عاما فقاموا بخدمة الضيوف . ولقد فاضت الكؤوس بالشراب . ولتشدت شراهة « يوركو » فكان يأكل بمعدل أربعة . وحاول ادريان التشبه به . اما ابنتاه فقد التزمتا حدود اللباقة . . وعلا صخب الحديث وحمى وطيس الحوار بالالمانية ولقد قطع صاحب الدعوة على الجمع الحديث قائلا بالروسية بصوت عال : فى صحة زوجتى الطيبة لويزا » وهدرت الأباريق بالصهباء وفارت الشمبانيا وقبل المضيف وجه زوجته الصبوح . وشرب الضيوف نخب لويزا . وصاح رب البيت ثانية بعد أن فض زجاجة أخرى « على صحة ضيوفى الامجاد » فشكره المدعوون باتمام الاقداح . وتلاحقت الكؤوس وشربوا على صحة كل مدعو ثم شربوا على صحة موسكو والاثنى عشر قرية صغيرة المانية وشربوا على صحة جميع الطوائف والصناعات واحدة واحدة ثم على الخصوص على صحة الرؤساء والملاحظين . وشرب ادريان حتى دفعته حماسته وانطلاقة اساريره الى ان يناشد الجمع لكى يشرب على صحته كاسا خاصة . فنهض فجأة خباز ضخم قائلا لنشرب على صحة من نعمل من اجلهم . على صحة زبائننا الكرام . فنال الاقتراح موافقة الجميع وارتفع منهم الضحك وبدأو جميعا فى صحة نخب بعضهم البعض . فالحائك يشرب نخب الحذاء والحذاء يشرب نخب الحائك والخباز يشرب نخب الاثنين والجميع يشربون نخب الخباز . وهكذا الى ان قام يوركو

فى وسط هذه التحيات المشتركة متعجبا ونظر الى ادريان قائلا :

تعال يا ابنى . . هل نشرب على صحة امواتك ! ! فضحك الجمع ولكن ادريان اعتقد ان هذا مسبة له فتجهم وأطرق ولم يفطن الى غضبته احد فظلوا يشربون وهم فى هذا الجو المرح الى ان دق جرس الغروب فنهضوا من اماكنهم متفرقين . وكانوا يملأون الجو بضحكهم . والتف بوركو بالخباز الضخم ومجلد الكتب وقصد ثلاثتهم الى بيت الساعاتى لكى يتموا ليلتهم على هذا النحو اما ادريان فقد عاد الى منزله ثملا كئيبا . وصاح متعجبا . «لم لا تكون مهنتى مكرمة كمهنة غيرى . هل يعتبر صانع النعوش أخا الجلاد ؟ لماذا كانوا يضحكون منى ؟ أظنونى مسخرة وأضحوكة ؟ لقد اعتزمت ان ادعوهم الى دارى الجديدة لكى اعد لهم وليمة فاما وقد اساؤا الى واضطهدونى فلن اصنع لهم شيئا وبدلا من دعوتى اياهم فلأدعون زبائنى الذين من أجلهم اشتغل . اجل لأدعون الاموات. لأدعون جثث المقبور» فقالت له الخادمة وكانت قريبة منه «. ماذا بك يا أبتاه . وماهذا الهراء بل الهذيان الذى يصدر عنك : فلترسم الصليب . . أتدعو الاموات الى بيتك الجديد بالله من جنون وحمق!» ! . . «نعم بمشيئة القضوف ادعوهم ولكن ليكن ذلك غدا . الا فاحضروا الى أيها الاجواد . انى لادعوكم لأذيق التى اقيمها من اجلكم مساء الغد ، وسأطعمكم بما رزقنى الله طعاما هنيئا» وعلى اثر ذلك اضطجع الحانوتى على فراشه واخذ يغط فى نومه .

ولقد قام ادريان من نومه فى هدأة الليل . فقد ماتت العجوز تريكينا زوجة التاجر التاجر فى اثناء تلك الليلة وجاء رسول خاص يمتطى جوادا ليبلغه ذلك النبأ المظلم . فأعطاه ادريان عشرة كوبك جزاء له على هذه البشرى ولكى يشرب بها النبيذ . ثم ارتدى ثيابه على عجل وذهب فى سبيله الى قرية العجوز . ولقد وقف البوليس امام دار هذه السيدة الراحلة وكان بعر الباعة المتجولون أمام الدار وخلفها كأن انوفهم تدلهم على ان هنالك ميتا . ولقد رقدت العجوز على مخدع وظهرت بشرتها صفراء لايجرى فيها الدم . وقف بجانبها اقاربها وجاراتها وخادموها . وبدأ رجال الدين فى القرية يتلون صلاتهم اما ادريان فقد ذهب الى ابن اخيها وكان تاجرا صغيرا فى القرية واخبره ان معدات الجنازة من نعش وشموع (وأبسطة الرحمة) وغيرها معدة مجهزة . فشكره الوارث بعقل مضطرب قائلا له انه لا يعنى بالتكاليف ولكنه يعتمد عليه فى اعداد كل شىء على اتم وضع طبقا

لضميره . فقال : الحانوتى كعادته انه سوف لا يكلفه كثيرا .

لقد أمضى الحانوتى يومه متنقلا بين «راسجولياس» و «دكيتسكاى» فاذا حان المساء فقد انتهت معدات الجنازة وانقلب عائدا الى داره مترجلا بعد ان طرد الحوذى الخاص به . وكان القمر يسطع بأشعته الفضية . ولقد قابل بالقرب من الكنيسة صديقه يوركو الذى تمنى له ان يمضى ليلة طيبة فلما دنا من داره خيل اليه انه ابصر رجلا يفتح بابها ثم يختفى داخلها . فقال فى نفسه :» ماذا هنا ومن يطلبنى الليلة ثانية . اهذا سارق يريد ان يسطو على ؟ أم لبناتى المجانين عشاق يختلسون اليهن الزيارة فى مثل هذا الوقت ؟ على كل فاننى لا انتهى من تفكيرى الا الى شر» ولقد عمد أدريان إلى أن يدعو صديقه يوركو الا انه فى هذه اللحظة ابصر شخصاً آخر يقترب من الباب ويتهيأ للدخول وفيما هو يهم بذلك رأى صاحب البيت فوقف ونزع قبعته ونظر كل منهما الى الآخر . واطال ادريان النظر اليه وكأن هذا الوجه قد مر عليه ولكنه لم يتبينه بالضبط . فقال ادريان : لقد جئت تشرفنى بزيارة . مرحبا بك تقدم امامى . فأجابه الزائر بصوت أجوف هزيل . بل تقدم انت امامى يا أبتاه . ان رب الدار يهدى الزائرين اليها . ولما صعد ادريان تبعه الضيف وخيل اليه ان اناسا يجولون فى غرفته فقال فى نفسه وما عسى ان يكون هذا ايضا ؟ فلما دخل الغرفة ابصر بها ما راعه وهاله حتى ارتعدت فرائصه وخارت قواه ولم يستطع حمل ساقيه . لقد كانت الحجرة مملوءة بالجثث التى سبق ان حملها الى المدافن وكان القمر يرسل اشعته البيضـــاء فتضىء تلك الوجوه الصفراء الزرقاء والشفاه المتقلصه والعيون الغائرة والأجفان المرخاة والانوف البارزة . ولقد عرف ادريان فيهم اولئك الذين غيبهم فى الحادم . وفى الطارق الذى كان يغدو على عقبه ذلك القائد الذى هطلت السماء على جنازته كما اشرنا الى ذلك فيما سبق . واحدق الجميع رجالا ونساء « بأدريان » وبدأو يحيونه ويسلمو نعليه ما عدا رجلا فقيرا كان قد دفن مجانا فنعه الخجل ان يتقدم فانتبذ زاوية من الحجرة يستر بها اطماره البلية اما سائر القوم فكانوا فى آنق الحلل . فالنساء فى الخز المزركش والديباج الموشى والضباط فى ملابسهم الرسمية على ان لحاهم كانت غير محلوقة ، والتجار والصناع فى قفاطين الاعياد والمواسم. ثم انبرى من بين الجماعة ذلك القائد وقال : ترى يا « بركهورف » لقد بعثنا جميعاً تلبية لندائك ولم يتخلف عن دعوتك الا الذين لم تمكنهم حالتهم من الحضور أولئك الذين قد أكل البلى أجسادهم

فاصبحوا عظاما نخرة لا تستطيع تماسكا بل لقد رأيت من بين هؤلاء واحدا لم يستطع ان يقبع في لحده بل آثر ان يراك » وفي تلك اللحظة اندفع الباب ودخل منه هيكل عظمى دقيق فتقدم نحو ادريان وابتسم في وجهه توددا الى « الحانوتى » وكانت تتدلى من اعطافه خرق بالية بين حمراء وخضراء ونظر الى الحانوتى قائلا : الاتتذكرني يا ادريان ؟ الا تذكر الجندى « بطرس بتروفتش » ذلك الذى بعته اول نعش من صنع يديك في عام ١٧٩٩ وقد جعلته من خشب الزان وكان الاتفاق ان يكون من خشب السنديان . ومد الهيكل العظمى ذراعيه العاريتين المروفتين نحو « ادريان » ولكن الحانوتى استجمع كل قواه وصرخ صرخة منكرة ثم دفع بكلتا يديه صدر الهيكل فتناثرت عظامه على البساط بددا . وعند ذلك علت ضجة استياء من الجثث ووقف الكل تحية لزميلهم وتوعدوا وهددوا الحانوتى بما أصم أذنيه حتى فقد صوابه وخر مغشيا عليه فوق عظام الجندى المبعثرة . وبعد قليل من الزمن طلعت الشمس وملأت الفراش الذى استلقى عليه ادريان فلما أينع النهار تقلب ادريان على مضجعه وتمطى ثم فتح عينيه فابصر الخادمة تعد الشاى ومرت على ذهنه ذكرى يومه المنصرم فلم تعدت له فرائصه لقد تذكر « تريكينا » ووفاتها . وتذكر وفد الاموات وما كان منهم . وتذكر خطاب الجندى بتروفيتش وسقوطه عظاما مبعثرة على أرض الغرفة وظل صامتا ينتظر من الخادمة أن تبدأ الحديث فتسر عليه تلك الحوادث

تقدمت نحوه قائلة : كيف كانت ليلتك يا أبتاه ؟ لقد جاء جارنا الحائك ليدعوك الى حفلة يقيمها غدا تذكارا ليوم ميلاده ولكنى عمدت الا أزعجك من منامك لتافهة كهذه . فقال أدريان ألم تحضر أحد من قبل المرحومة « تريكينا » المرحومة ؟ ومن قال أنها ماتت ؟

لك الويل من غبية حمقاء . ألم تساعدينى أنت أمس فى اعداد معدات جنازتها ؟

أهل فقدت وعيك يا أبتاه أم لم تزل فى سكرة من خمرة الامس . أين كان ذلك الجناز الذى تتحدث عن قيامنا به أمس ! لقد قضيت طيلة يومك فى دار الالمانى ورجوعك منها تتخبط سكر حتى أتيح لك أن تصل الى الفراش لتنام ولقد ظللت نائما الليل كله ولم تنهض إلا على صوت الاجراس

فقال — أحقا هذا ما حدث ؟

فقالت — نعم هذا بالذات ما قد وقع

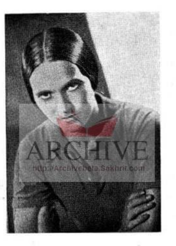
فقال — اذن هذا حسن . فلنعد الشاى ولتناد البنات .

جمال الجسم



هذه الفتاة من البربر فى الجزائر تمثل جمال الجسم واغراء الطبيعة . وقد زادت هذا الاغراء بقليل من الصنعة الساذجة مثل الوشم على الوجنتين والحلى والشعر المرسل ولكن طبيعتها هى هنا فوق كل صنعة تنطق بالانوثة الساذجة

جمال الذهن



هذه الصورة هى للاديبة الانجليزية اثيل مانين . وهى قصصية مفكرة تمثل الجمال الذهنى . تفكير ورزانة وتأمل وجراءة وصراحة . وهى النقيض للصورة السابقة ليس لجسمها ذلك الاغراء الذى نراه فى تلك الفتاة البربرية . ولكن جمالها من طراز اعلى اذ هو الجمال الذهنى

جمال الفن



جمال الفن هو صورة أخرى لجمال الذهن . وهنا صورة الممثـــلة الانجليزية فلورا زوبسون وهي في دور «ماري تيورد» وفي وجهها من الكبرياء والذكاء ما لا يمكن أن يسمو اليه اغراء الجسم . هـذا الجمال الفني يختلف من الجمال الذهني من حيث اعتماده على الصنعة . ولـكنها صنعة فنية سامية ليس فيها وشم ولا حلى كالسلاسل تعلق على الصدر

جمال اليابانيات



لليابانيات جمال هو طراز وحده لا نستطيع أن نقيسه بمساطرنا الفنية اذ هو يخرج عن مألوفنا فى العين المشروطة والحاجب المنحرف والانف المنبطح . ولكن فيه مع ذلك نعومة وانوثة تتسرقان الى النفس فتنة كأنها مكر وخبث

الزنوج يخرجون من وحشيتهم

لا تذكر افريقيا الوسطى حتى تثب إلى الذهن صورة ظلماتها : غابات كثيفة ووحوش مفترسة وزنوج سود لا يعرفون سوى القسوة والقتال والدم . ولكن هذه الصورة ليست صحيحة فى وقتنا الحاضر . فان الحضارة تتغلغل الى هؤلاء الزنوج وخاصة من أفريقيا الجنوبية حيث يحتك البيض والسود فيأخذ هؤلاء عنهم . وقد كثر منهم المتمدنون وبينهم الآن مئات بل آلاف من الاطباء والمحامين والمهندسين والمقاولين. بل الكونجو البلجيكية التى قاست من مظالم البلجيك ما يتجاوز الطاقة قد أخذ الاصلاح يتشرفها ويوضع الندى مكان السيف. وقد زارت سيدة أمريكية هذا القطر ونقلت منه صورا فتوغرافية تدل على أن الزنوج أخذوا يرجعون الى الحياة التى كرهوها أيام الملك ليوبولد . فهم الآن يرقصون ويحتفلون باعيادهم فى سذاجة تتفق والحياة البدائية التى يعيشونها . وتقول المؤلفة انها رأت أميرة من قبيلة واتوسى تقوم برقصات فنية يرتاح الى رؤيتها حتى الجمهور المثقف فى باريس أو لندن. ويرى القارىء صورتها هنا

راقصة زنجية فى كونجو

• • •

ليس بعيدا أن يتضخم اسم ما كبر يرى قريبا فى عالم الشهرة . فان هذه البلدة الصغيرة هى فى أوغندا فى قلب افريقيا وقد أنشئت فيها كلية حديثة تنمو رويدا رويدا الى أن تصير جامعة . وقد جمع لها من التبرعات واعانة الحكومة البريطانية مبلغ ٢٠٠ الف جنيه لتشييد المبانى اللائقة بها .

وستدرس فيها العلوم والآداب باللغة الانجليزية . وجميع الطلبة — بل الطالبات أيضا — من الزنوج في أوغندا . ولا بد أنها ستجذب أيضا أبناء المتمصرين في زنجبار وكينيا وتنجنيقا .

وقد اختير لادارة هذه الكلية والتعليم فيها معلمون من انجلترا شهد لهم بالخبرة . وهكذا تنفذ أشعة الثقافة العصرية الى عقول الزنوج في قلب افريقيا ولن تمضى عشرون سنة حتى يكون في افريقيا جيل جديد من الزنوج يأنسون الى الافكار العصرية بل يتخذونها

• • •

لكل أمة أقليتها أو أقلياتها . وقد كانت تشيكوسلوفاكيا مثلا سيئا لكثرة هذه الاقليات وتعدد أهدافها القومية . والاقلية إذا لم تكن منسجمة مع الاكثرية أو راضية عن حكمها فانها تفتت في الكيان الوطنى كله . ومركز الخطر في أوربا الآن هو يوغوسلافيا ؛ حيث تتعدد الاقليات أيضا ؛ وحيث يلتهب الروح القومى بينها بمناحة الجيش الايطالى الذى احتل البانيا

ومع أن الولايات المتحدة الامريكية أبعد الامم عن مشكلات الاقليات لانها تعمم المساواة وتبالغ في الميزات الديمقراطية فان فيها أقلية من الزنوج تبلغ ١٣ مليونا أى ما يقرب من العشر . وهؤلاء السود يجدون من القانون المساواة التامة بمواطنيهم البيض . ولكن الاجتماع ينكر عليهم هذه المساواة . والانكار هنا يتصل بالمعاملات فالزنجى لا يقعد الى جنب الابيض في بعض العربات في القطار وأحيانا يرفض صاحب الفندق ايواءه . وبعض المدارس تفصل بين الصبيان . والمجرم الزنجى لا يؤخذ الى البوليس ، بل يتولى الجمهور عقابه ، أو عذابه

وهذه الحال السيئة يقاومها زعماء الفكر والقيادة في الولايات المتحدة ولكن بلا جدوى . لان التعصب للدم بين البيض هناك عظيم جداً . ولعله يرجع الى خوف البيض من الاندغام فهو عندهم وسيلة لصيانة الدم الابيض من دم الزنوج إذ ما دامت الكراهية قائمة فلا خوف من التناسل المختلط

• • •

وزنوج الولايات المتحدة يرجعون في الاصل الى افريقيا . فانهم أبناء العبيد الذين كان يشتريهم أصحاب المزارع من النخاسين لكى يزرعوا ارضهم . ولذلك كثرتهم الغالبة الى الآن لا تزال في الاقاليم الجنوبية حيث مزارع القطن . فلما حرر الزنوج بالحرب الاهلية سنة ١٨٦٣ استقلوا بأعمالهم

واصبحوا يملكون الملايين من الفدادين ولهم جامعات وبنوك خاصة بهم

وقد شعر الامريكيون منذ سنة ١٨١٦ بمشكلة الزنوج فى بلادهم فصار الابرار منهم يشترونهم ويعتقونهم ويردونهم الى افريقيا حيث القطر المسمى الآن ليبريا وصاروا يصطنعون الثقافة واللغة والعادات الامريكية حتى اذا كانت سنة ١٨٤٧ أعلنوا استقلالهم . وساعدتهم حكومة الولايات المتحدة على ذلك . ولا تزال الحكومة الامريكية ترعى زنوج ليبريا بالعطف حتى انها عقدت لحكومتهم قرضاً سنة ١٩١٨ لمساعدتهم على ترقية أحوالهم الاقتصادية . ولكنها شرطت إيجاد مستشار مالى أمريكى يشرف على شؤون الدولة المالية

وفى ليبريا الآن نحو ٥٠٠٠٠٠ زنجى متعلم أى متأمرك . ولكن سكان ليبريا من الزنوج الذين لا يعرفون الانجليزية وقد استبد بهم هؤلاء المتعلمون واستغلوهم أسوأ استغلال حتى اضطرت عصبة الامم ان تؤلف لجنة لبحث المظالم التى تقع بهؤلاء المساكين من أبناء شعبهم المتأمركين

* * *

ولكن للزنوج دولة أخرى فى القارة الامريكية فى جزيرة هايتى . وهم هناك قد تأثروا بالثقافة واللغة والعادات الفرنسية . وكانت هايتى فى الاصل مستعمرة فرنسيه وزنوجها عبيدا للجالية الفرنسية. فلما نشبت حروب نابليون وأصبح الاتصال بالقارة الامريكية مستحيلا أعلن الزنوج استقلالهم فى هايتى

غير انه على الرغم من تعدد المدارس الفرنسية فى هايتى لا يزال جمهور السكان يتخبط فى الجهل وللساحر قيمة وسلطان كبيران بين العامة . ومع ان المسيحية هى الدين العام أو الظاهر للسكان فان الممارسات الدينية الافريقية قد انتقلت من افريقيا ونقلت معها ظلام الخرفات الى هؤلاء الزنوج . ويقال ان الكاهن أى الساحر يمكنه ان يقتل من يريد من هؤلاء السكان بما يوهمه اياه من فعل السحر . وايمان العامة بقوة الساحر يجعل تأثيره وضرره عظيمين وليس هذا فى هايتى فقط بل فى افريقيا ايضا حيث تكافح السلطات الفرنسية و الانجليزية السحرة وتحاربهم لكى يخف أذاهم عن الناس أو يزول

يوسف سليمان باشا

توفى فى الشهر الماضى فى الثامنة والسبعين من عمره رجل من عظماء مصر الذين خدموها فى القضاء والسياسة ، هو المرحوم يوسف سليمان باشا . وقد بلغ سنا متقدمة احتفظ فيها بنشاط الشباب فكان لا يفتأ يحضر الاجتماعات ويشترك فى الاعمال العامة.

وقبل ايام التقى كلمة عقب الانتخابات للمجلس الملى العام كان فيها مثل التفكير الهادىء الرزين . وقد اعانه على هذه الشيخوخة نحافة جسمه واعتداله فى المعيشة والسلوك اللذين لم يعرف فيهما اسرافا

وقد ولد سنة ١٨٦٢ وتعلم فى مدرسة الاقباط الكبرى بالدرب الواسع . ولما أتم تعليمه الثانوى وجاز الامتحان الذى استحال بعد ذلك الى ما يسمى امتحان البكالوريا التحق بمدرسة الادارة سنة ١٨٧٨ . وكان يديرها المسيو فيدال وهى التى صارت بعد ذلك مدرسة الحقوق

وفى سنة ١٨٨١ نال شهادتها وعين كاتبا فى المحكمة المختلطة براتب قدره خمسة جنيهات . ثم انتقل ذلك الى مثل هذه الوظيفة فى المحاكم الاهلية بزيادة جنيه فى راتبه . ورأى فيه رؤساؤه ما يؤهله للخدمة فى النيابة

المرحوم يوسف سليمان باشا

العامة التى انشئت اذ ذاك فنقل اليها وعين مساعدا للنيابة . ثم ارتقى بعد ذلك الى أن بلغ فى سنة ١٨٩٩ رياسة النيابة لمحكمة مصر الاهلية ، وكانت النيابة فى سنيها الاولى هيئة ادارية تشمل الاعمال التى تقوم بها ادارة الامن العام الآن كما كانت هيئة قضائية للتحقيق ثم عين سنة ١٩٠٦

قاضيا لمحكمة المنصورة المختلطة وبقى فى هذا المنصب عشر سنوات . الى أن نقل مستشارا فى محكمة الاستئناف الاهلية الى سنة ١٩٢٠ فاختير وزيرا للزراعة ثم وزيرا سنة ١٩١٦ وبقى فى هذا المنصب المالية سنة ١٩٢١

ولما تألف الوفد الذى دعى الى لندن برياسة المرحوم عدلى يكن باشا سنة ١٩٢١ كان يوسف سليمان باشا أحد أعضائه وهناك فى عاصمة الانجليز جرت المفاوضة بين اللورد كرزون وبين الوفد وكان اللورد كرزون من دعاة المذهب الامبراطورى الذين لم تزدهم اقامتهم بالهنـــد سوى زيادة لهذا المبدأ . وقد حكى المرحوم يوسف سليمان لكاتب هذه الكلمة مادار بينه وبين اللورد كرزون فى ذلك الوقت . فقال ما معناه : « عند ما استقبلنا اللورد كرزون وتعرف الينا واحدا واحدا ورحب بنا وتحدث فى جملة شئون هممنا بالانصراف . ولكنه استبقانى وحدى . ثم سألنى هل صحيح أن الاقباط فى مصر يطلبون الاستقلال مثل المسلمين ؟ فقلت أجل . هذا صحيح فانهم فى هـذا الطلب لايختلفون أقل الاختلاف من اخوانهم المسلمين . فقال اللورد كرزون وكيف تمت هذه المعجزة ؟ فقلت : ان حماسة الاقباط للاستقلال تفوق كل وصف والخادم مع المخاديم يدعو الى الاعجاب والفخر . فقال اللورد كرزون ولكن هل أنت مقتنع الى ان الاستقلال لا يضر بالاقباط ؟ فقلت نحن والمسلمون شعب واحد تجرى فى عروقنا دماء واحدة . ولا يخطر ببـــال قبطى ان يتوجس من أخيه المسلم . فاجاب اللورد كرزون على هذا بصمت عميق . وانصرفت »

وقد كان المرحوم يوسف سليمان باشا كثير الاشتغال بالمسائل القبطية فكانت له أيد كريمة فى إنشاء المدارس والكنائس ولعله الوحيد بين الاقباط الذى أمضى من حياته خمسين سنة تقريبا وهو عضو بالمجلس الملى العام . اذ هو انتخب سنة ١٨٩٠ وبقى فى هذه العضوية الى يوم وفاته

وفى سنة ١٩٣٣ لما وصلت الامبراطورة منن زوجة الامبراطور هيلاسلاسى مصر نزلت هى وحاشيتها فى منزله بالعباسية وقد زارت قصر عابدين واستقبلهـــا المغفور له الملك فؤاد . وردلها الزيارة فى منزل يوسف سليمان باشا

* * *

ولعله يليق هنا ان نعلق على حديث هذا السياسى المصرى الكبير فى ضوء الحوادث التى

حدث فى السنتين الماضيتين . فاننا لا نشك فى ان كثيرا من القراء الاقباط قد عرتهم الحسرة وهم يتأملون حال التضامن والاتحاد التى كانت تسود عنصرى هذه البلاد ايام النهضة وبقيت على ذلك نحو ١٨ سنة الى ان طرأت طوارىء النزعات الحزبية فجعلت من التعصب على الاقباط ذريعة للتطاحن ثم استطار شرر هذا التعصب الى بعض المصالح الحكومية . ونحن نهيب باخواننا المسلمين ان يعودوا فيذكروا انهم هم والاقباط شعب واحد كما قال يوسف سليمان باشا للورد كرزون وان يحذروا النتائج التى يغمرها التعصب . فان اقل ما فيه ان يغدو الاقباط اقلية كارهة متذمرة تشبه الارمن فى تركيا قبل ثلاثين عاما . وليس هذا من مصلحة الاقباط او مصلحة المسلمين . وهناك ما هو أخطر من ذلك . فان تعميم الروح الدينى وقياس الاشياء بمسطرة الدين يحيل بلادنا الى ما كانت عليه تركيا ايام عبد الحميد . وقد يكون هنا فى مصر من المصريين ومن النزلاء الشرقيين من يحب ان يرى هذه الحال ويجد فيها الغبطة والمصلحة معا . ولكن جمهور الامة المتعلم الذى عرف ميزات مصطفى كمال وا كثير من نهضته يجب ان يعرف غير ذلك

ثراء

أعظم امم العالم فى الثراء هى أمة الولايات المتحدة الامريكية . فقد قدر دخلها فى العام الماضى بنحو ٨ آلاف مليون جنيه . أنفق منها على الابواب التالية

التعليم ٤٥٠ مليون جنيه
الاتومبيلات ٦٠٠ » »
الدخان ٧٠٠ » »
الطرق ٣٠٠ » »
اعانة المزارعين ٥٠٠ » »
الخمور ٨٠٠ » »

ويرى القارىء ان الخمر والدخان يستهلكان أعظم مقدار من دخل الولايات المتحدة . ويلى ذلك الاتومبيل . ثم يليه التعليم الذى ينفق عليه الامريكى اقل مما ينفق على سجارته او كأسه



لذعة الصابون

أثر الوالدين في الأبناء

للاستاذ م . ع . ع

اذا نظرنا الى الآباء والأمهات من الناحية الثقافية والاجتماعية وما يحوطهم من الظروف الاقتصادية والتجارب التى مرت بهم وسائر الظروف الأخرى التى طبعت شخصيتهم وعوامل البيئة والوراثة ، وجدنا استحالة اتفاق اثنين منهم فى صفاتهم وطباعهم

هذا مايتعلق بالوالدين كافراد ، أما طباعهما كفردين جمعت بينهما روابط الزوجية ، وما لهذه الرابطة من أثر فى تغيير طباع كل منهما بحيث يقتربان من بعضهما ، فهذا أمر فى غاية الاشكال والتعقد كما أنه ليس له مقياس ثابت نعرف به مدى هذا الاندماج والتغير فى طبيعة الشخصين المتآلفين . فكثيرا ما نتحدث لكل منهما على انفراد فيعجبنا ما هما عليه من قوة الادراك والرزانة والتعقل وتفهمهما على وجه التحديد التزاماتهما الابوية وأن نرى فى كل منهما شخصية كريمة الأخلاق شيقة الحديث لينة الجانب ، بينما هى كزوج أو زوجة حادة الطبع فاترة المودة شديدة الانانية . وتمتد هذه الانانية الى الطفل فتراهما يتسابقان فى كسب وده فيغرقانه فى لجج من العواطف وهكذا يجنيان عليه من حيث لا يشعران

ولاشك أن شباب هذا الجيل ينزع الى التحلل من سيطرة الوالدين فى سن مبكرة عما كان يفكر فيه شباب الامس ، ومن ثم كانت علاقة الآباء بالطفل جديرة بعنايتنا .

فنفوذ الآباء يجب أن يكون له أثره فى النواحى العقلية والعاطفية للطفل فى مثل هـــذه السن المبكرة ، فان استقبال الابناء لهذه الحرية الجديدة وحسن تصرفهم فيها يتوقف الى حد كبير على ما يتركه أثرنا فيهم فى العشر السنين الاولى من حياتهم . ومن العبث أن نحاول فهم أبنائنا فيما وراء هذه السن الى العشرين فقد انقلب الامر — ان خطأ أو صوابا — الى جنوحهم نحو استقلالهم فى

حياتهم الاجتماعية ولما يتجاوزوا الخامسة عشر فى حين أننا لم نكن نفكر فى هذا قبل العشرين على الأقل .

ولما كان اختلاف الناس لا حصر له ، فمن العسير أن تحدد الآباء فى جماعات محصر لكل منها على وجه التدقيق سيئاتها وحسناتها ولكنا نستطيع أن نشير الى ما يشيع بين الناس من المواقف والنتائج الخطيرة التى تترتب على الكيفية التى يساس بها الابناء .

فكثير من الوالدين مع ما هم عليه من وفرة الذكاء وحسن التربية ، ومع المامهم بما يقع من الشئون كل يوم ، يعجزون عن القيام بما تفرضه عليهم الابوة من الواجبات والمسئولية . فهم لا يفرقون بين التافه والمهم ، فبينا يركزون اهتمامهم فى تكوين العادات ينسون معايير الاخلاق ، وفى الوقت الذى يعملون فيه جاهدين على طبع أولادهم على صور من السلوك والنظام ليست فى حياتهم شيئا مذكورا لايذكرون أنهم يجهلون النواحى الاساسية فى تربية الطفل ، أمثال هؤلاء انما يتعثرون وراء نزعتهم العاطفية هادمين شخصية الطفل فى ابان تكوينها

ومع أن الام والوالد يلعبان دوراً هاما على السواء فى تنمية الطفل وتربيته فالام هى التى تصرف الجزء الاكبر من وقتها على العناية به والسهر عليه ، ومع ما للاهتمام والمحبة من الاهمية العظمى فانهما لايضمنان لها النجاح فى معالجة المشاكل التى تصادفها بل قد تكون هذه المحبة هى الناحية الحساسة التى تضعف الام أمامها فلا تقف من طفلها موقف الحزم الذى تقضى به الضروره . ولكم طغت هذه المحبة على كل عيب فسترته ومرت على كل ذنب فغفرته وتمادى الابن فى الاستهتار حتى استفحل الداء وعز الدواء .

وغالبا ما تكون المحبة مصحوبة باللهف الشديد والجزع المستفيض مما يحجب عنا دواعى التفكير فى معالجة شئون الطفل . فالتلهف عليه يضعه منا وضعا مخالفا لما تقضى به العاده .

فالطفل وقد أدرك أنه موضع العناية لايلبث أن يشهر فى وجوهنا سلاح الشكاية ، فيتخيل أنه مريض ليتلذذ بما يثيره فينا من مظاهر الجزع وما تبالغ فيه من تلقى ظواهر المرض ، ولنستعد بعد هذا أن نشرب الكأس المريره من ميوعته . فقد يكون ما يصيب الطفل لايستدعى منه ما يظهره من صراخ أو بكاء أو أنين ، فنحن المسئولون عن هذا التغير الظاهر فى أخلاقه اذا ما جد له حادث أو

انتابه مرض . ثم تصور أنه في دور النقاهة ، فالكل مرهف أذنيه لاستماع أوامره مسرع لتلبية طلباته فمقدور أن يكون مثل هذا الطفل أنانياً متسلطاً ، وكثيراً ما يصطنع المرض هروباً من واجب لا يروقه أو استدراراً للعطف عليه .

ويدفع إلى مثل هذا ، الخوف الذى يستولى على الآباء فيتوهمون السوء يطارد ابناءهم فى غدوهم ورواحهم ، فلا يأمنون عليه أن يذهب إلى المدرسة وحده خوفاً من مكروه يصيبه أو يمنعونه من الاختلاط بغيره ، وهكذا تقيد الطفل فيما يخطو دون أن تدعه يعتمد على نفسه أو يفكر لنفسه والطفل الذى يتعلق دائماً فى أذيال أمه قلما يعرف كيف يعيش مع أقرانه حتى إذا ما فك من أسار البيت والتحق بالمدرسة اعوزته القوة والشجاعة والوسيلة ولا يبعد أن يظل هكذا طول حياته .

وليس هناك من قيد أثقل من أن يكون الطفل آباء يأبون عليه حق تنمية مواهبه وينكرون عليه حق إنماء شخصيته بما أودعه الله من الصفات العقلية ، والأمهات قبل غيرهن هن المسئولات عن كثير من هذه المعايب بما يأخذن من شفقة ضارة ، فقد صادفت مرة تلميذاً فى الثانية عشر بالسنة الثانية الثانوية منتظراً امام المدرسة وقد مضى وقت طويل بعد الانصراف . ولما سألته عن وجهته أجاب إنه ذاهب إلى دكان بدال المدرسة والدته ترسل له خادماً يتسلمه وكان دكان البدال تجاه موقف الترام . فسألته لِمَ لا يذهب للمنزل مباشرة بعد أن علمت منه أنه لا يبعد كذلك عن موقف الترام هناك فأشد عجبي حين سمعت منه أنه لا يسلم من تعنيف والدته وعقابها مع وصوله إليها سالماً !

أليس فى هذا قتل لأبسط مظاهر الاتكال على النفس وقضاء على ملكة التفكير فى مواجهة أبسط المشاكل . هذا التلميذ بالذات مع ما يبذله من مجهود فى العناية بدروسه ، لا يستطيع أن يجيبك على سؤال بمجرد توجيهه إليه ، فلا بد له من وقت أكثر مما يلزم وإذا تكلم من فوره تلعثم ، وما ذلك إلا لأن تفكيره لا يسعفه من فوره لأنه لم يتعود التفكير لنفسه . وهذا التلميذ نفسه لا نصيب له فى أية ناحية من نواحى النشاط المدرسى وأؤكد أن خوف والدته عليه لا بد له أثره فى عدم اشتراكه فى أية ناحية رياضية ، وبذلك لا تقتصر الاساءة إليه من الناحية الخلقية بل والجسمية أيضاً .

حقيقة إن مظاهر النشاط فى حياة الطفولة كالجرى والتسلق وركوب العجلات والألعاب الرياضية واللعب فى الماء وغيرها تحمل فى طياتها احتمال ضرر هين فى الغالب ولكن الرغبة فى كل جديد تدفع

بالأولاد إلى شيء من المجازفة والتحمل فى سبيل تحقيق رغبتهم وإرضاء غريزتهم ، وهم فى هـذا لا يبذلون إلا مجهودا عاديا يجمله أمراً شاقا مخيفاً كثرة ما يسمعونه دائماً من تحذيرات الخطر .

إن الاولاد بالطبع فى حاجة إلى حمايتهم ، وليس من قبيل الحماية المعقولة أن نقرن لهم الماء بالغرق والجرى بكسر الساق والتسلق بتهشيم الرأس فان هـذا يقتل روح النشاط والمغامرة ويخرج نسبة الاخطار عن حقيقتها .

وقد تدفع شدة العناية بالابن أن يتولى عنه والداه ما يكلفه من الواجبات وينسيان أن الطفل يتعلم بما يعمل ، ولذلك كان كثير من الاولاد يعيشون فى مستوى عقلى أحط بكثير مما كانوا يصلون اليه وما ذلك الا لان آباءهم يلذ لهم أن يجعلوا كل شيء لابنائهم سهلا ميسورا دون أن يكلفوهم عناء التفكير فيه ، وهم بهذا يضعون فى أعناقهم حجرا يثقلهم فى قادم أيامهم حيث لا يجدون فيها أبا وأما يشاطرهم آلامهم .

ومن الآباء من يتدخل فى كل شيء ، فهو الذى يختار له أصدقاءه ويختار له القسم الدراسى — أدبى أو علمى — ثم السكلية التى يلتحق بها ، وهو فى هذا الاختيار مسوق بمستقبل هذه أو تلك لا لرغبة الابن وميوله لاحداها ، وهكذا يشب الابن لا يفكر فيما يريد بل فيما يوافق عليه أبوه أو أمه حتى إذا ما استقبلته الحياة ، ألقى دلوه فيها بين الشك والتردد فى جميع ما يفعل . ومن لم تتفتح شخصيته من أكمامها فى أيامه الطليقة فلا خير يرجى منه فى المستقبل ، فبدلا من أن يقابل كل مشكلة بالرأى الحازم والحل العاجل ، تتجاذبه جميع أنواع التهيب ، فهو دائماً يسأل نفسه هل هـذا ياترى يرضى العائلة ؟ هل ينال موافقة أمه ؟ هلا يعارض والده فى هـذا ؟ هل يحظى برضاء الأصدقاء ؟ سواء فى هذا أكان الأمر انتقاء ثوب أم اختيار زوجة .

إن شيئاً هاماً كان ينقص هذا الشاب عند إعداده وتربيته فظل فراغه شاغرا فى نفسه ، ألا وهو الاعتماد على النفس فتبدلت نفسه بها شعورا بالنقص والتهيب . وهذا هو الثمن الذى دفعه الابناء لآبائهم فى سبيل تقديس رغباتهم ، فحسبوا قتل روح الاستقلال طاعة ، وظنوا فى أثرتهم وأنانيتهم حباً وتضحية . وحسبنا من هذا أن نراجع أنفسنا بين حين وآخر فيما اذا كنا كآباء نخنق أبناءنا .

ولا شك أن الام تغتبط بما يظهره طفلها من أنواع المحبة وهى فى هذا تود المزيد غير أن هـذا

يدفع به الى أن يكون عيلا أكثر مما يلزم فتراه لا يفارقها ، ويرفض أن يتناول طعامه من غيرها ، أو ينام دون أن تكون بجانبه ، وهذا أكبر ما يضره فلا بد أن يعود الاستقلال منذ الصغر . دعه يجرب ويخطىء فهو يستفيد من أخطائه . وغالباً ما يكون أسهل أن نعمل له ما يصعب عليه أو ما يكون عبثاً فيه ، ولكن لنعطه وقتاً أطول فعادة التواكل التى نسهلها له ستحرمه لذة الوقوف على رجليه فى المستقبل .

ومنذ البداية يجب أن يتعلم الطفل أن الاشياء ليست ملكه بمجرد رغبته فيها فلا نحاول أن نعطيه كل ما يطلب أو يرغب فيه ويجب أن ننمى فيه عادة اشراك غيره فى لعبه وأن يتجاوز عما يريد وأن يتنازل عما فى يده لغيره فى الوقت الذى تحدثه نفسه بالمزيد . وهو فى هذا لا يدرك لماذا يجب عليه أن يفعل ذلك ، ولكن أى طفل وان صغر يستطيع أن يفهم ما يصاحب فعله من ارتياح الآخرين واستحسانهم . وقليل من الملاطفة كفيل بتنفيذ هذه السياسة . بهذه الروح يتقدم فى الرجولة فتستقبله الأيام صلدا عند اخفاقها شجاعا فى مواجهة صدماتها .

ويجب ألا نرشوه أو أن نعده بما ليس فى مقدورنا أو فى نيتنا القيام به فالاولاد لا ينسون بل يجب علينا أن ننفذ ما نعد به حتى نكون مثلا لهم فى الصدق والصراحة ، وكثيرا ما نخطىء فنقول له اذا فعلت كذا أعطيناك قرشاً ، فلن يمضى وقت طويل حتى يصبح القرش غير كاف ويطمع فى قرش آخر أو قرشين وأى طفل أوتى قليلا من الصلابة يستطيع أن يستغل نجاح هذه الطريقة لصالحه .

وكثيرا ما نكذب على الطفل ـ من غير قصد ـ لنسكته أو لنحصل منه على شىء نريده وسرعان مايكتشف الطفل أنه خدع فتضيع ثقته بالناس جميعاً وتصبح الحقيقة عنده أمراً مشكوكا فيه .

* * *

واستعمال التهديد كوسيلة لاخضاع الطفل أمر ضار فوق أنه عديم الفائدة ، فمهما كانت عبارتنا فلا يمكن أن تكون لها قوة التهديد مالم نستطع تنفيذ مدلولها فى حالة ما إذا استمر الطفل فى مخالفته . ومع وثوقنا من هذا فلا نفتأ نردد العبارات المألوفة « اسكت وإلا نادينا الطبيب يقطع لسانك » أو « تعال هنا ولا ناديت العسكرى يحبسك » أو « إياك تخرج وإلا خطفك الرجل العجوز فى مخلاته » وأمثال هذا كثير يجرى كل يوم . وهكذا تنشىء الطفل على كره الطبيب واحتقار رجل

البوليس وليس هناك من يجحد فضلهما . فضلا عن أن نتيجتها لاتخلو من أحد أمرين ، أما أن يستولى على الطفل الخوف وهذا له أثر أسوأ مما تتصور ، وأما أن يتبين له عدم صحة هذه التهديدات فلا يعود يعبأ بشىء منها ، وكلاهما أمر لايؤدى إلى نتيجة سارة .

ويجب أن يأنس الطفل فى أبيه أو أمه رفيقا حدبا عليه متمتعا بثقته ، فهو إنما يتقدم لأبيه بمتاعبه وشكوكه يطلب لها حلا إذا استشعر منه روح الصداقة لا السيطرة . والأم التى تتشاغل عن الاصغاء لطفلها وإن لم يكن لكلامه معنى فلن تنتظر منه أن يركن إليها يوما فى مشكلة من مشاكله، فيجب أن نساير الطفل فى حديثه دون أن نصده .

وكثيراً ماترى الطفل فى سن معينة يكثر من الأسئلة عن هــذا أو ذاك وهو فى هــذا إنما يشبع رغبة عنده فى تعرف الأشياء ، ويشعر بالروح التى نشعر بها نحن من شعور الارتياح لمعرفة كل جديد . فالتبرم بأسئلة الطفل جهل بطبيعته وقضاء على ناحية هامة من نواحى تكوينه ونموه

والطفل سريع الملاحظة لكل مايقع حوله ، وكثير من الآباء لا يعلمون إلى أى حد يفهم الاطفال مايرون ومايسمعون فلا يتحرجون عن قول أو عمل أمامه ظنا منهم أنه لايفهم مايرى أو يسمع . وجدير بنا أيضا ألا نسخر منهم أو نتحدث أمامهم عنهم ، فالسخرية ضارة بالطفل جارحة لشعوره ، والتحدث عنه يدفع به الى الزهو والعمل على لفت النظر اليه .

وللأطفال شئونهم وأفكارهم الخاصة بهم وقليلا مايلحظها الكبار عنهم ، فاذا مارأينا التدخل فى هذه الشئون ، فيجب أن يصحبه شىء من التفسير وأن نشعر الطفل بالاحترام فى معاملته ، فهــذا أجدى لترقيق شعوره وحمله على الطاعة عن هوى ورغبة لا اضطرار ورهبة . من ذلك أن طفلة كانت منهمكة فى سرور ولذة بجانب والدها ، فنادتها أمهــا من غرفة مجاورة لتذهب الى فراشها ، ولو أنها رأت أنهما كها مع لعبتها لتمهلت فى طلبها ، فالتفتت البنت الى أبيهـا وعيناها مغرورقتان بالدموع تطلب منه أن تبقى حتى تنتهى من لعبها فأجابها الوالد وقد أدرك وجهة نظرها بأن التأخير ضار بها ، وأن والدتها لو كانت تعلم قرب انتهائها لما نادتها ، ومع ذلك فعليها أن تلبى نداءها وأن تسرع الى فراشها . من هذا تعلم أنه عطف عليها فى موقفها وأنه عضد الأم فى رغبتها وأنه توقع منها أن تقابل كلامه بالامتثال ، كل هذا بطريقة فيها كل معانى العطف والاقناع .

ومن الأمور الهامة فى تربية الطفل ألا يختلف الوالدان أمامه فى شىء من شئونه بل يجب أن يفهم أن مايصدر له من أحدهما انما يوافق عليه الآخر ، واذا كان لأحدهما رأى يخالف شريكه فعليهما ألا يناقشاه أمامه حتى لا يظهر انه على خلافهما .

وكثيراً ماتكون أطماع الآباء هى الصخرة التى تتحطم عليها نفوس أبنائهم وذلك عندما يرسمون لأبنائهم مستوى عالياً فوق مقدورهم الوصول اليه ولاسبيل معه لتجنب الخيبة ، وهم بهذا يغرسون فيهم الشعور بالنقص يلازمهم طول حياتهم ، فالانسان انما يعتمد على آراء غيره فى شعوره بقيمة نفسه ، والنجاح ضرورى ليحفز بصاحبه لتجديد جهوده واستمراره فى تأدية عمله ، فالطفل الذى ليس فى مقدوره الوصول الى المستوى الذى يجاهده عليه والده لايلبث أن يلازمه اليأس والخيبة . فجدير بالآباء ألا ينسوا أن هناك فروقا فردية كبيرة بين الأطفال هى التى تحدد المجهود العقلى الذى يطيقونه كما أن هناك اختلافا واسعا فى التوافق الحركى يبين عند القياس قدرتهم ومهارتهم فى النواحى الرياضية فليكبحوا جماح مطامعهم وآمالهم حتى يتبين لهم استعداد أبنائهم العقلى ويستوثقوا أنها توافق ميولهم الشخصية

وهناك آباء يبعدون أنفسهم عن الاتصال الوثيق بأبنائهم ، فلا يشعرونهم بوجودهم إلا عند عقاب يوقعونه ، أمثال هؤلاء نادرا ما يشعرون بما يبذله الطفل من المجهودات الصادقة فى أعماله اليومية حتى يلقى منهم كلمة تشجيع على ما يفعل وهم يبعدون عن ميدان حسناته حتى تشفع له إحداها إذا ما تأخر يوما فى عودته من المدرسة مثلا أو حصل على درجة غير مرضية ، عندئذ تبدو سلطة الوالد تعاقب كأنها ما خلقت إلا للاذى والانتقام ، فتولد فى الطفل شعور التبرم والكراهية لاية سلطة اينما وجدت . وهذا سر إخفاق الكثيرين فى حياتهم العملية مما يستدعى الخضوع لرياسة ، فهم ثائرون متذمرون ، وكثيرا مايعتقدون أنهم مضطهدون أو على الاقل لم يعطوا المنزلة التى يستحقونها فمصدر هذا التبرم هو تلك العلاقة الابوية الاولى . فيجب أن يلقى الاطفال فى المنزل من التشجيع والامتداح على مجهودهم ما يتوقعه كل واحد منا وما يجاهد من اجله فى أية صورة من صور الجزاء جاها كان أو سطوة أو إثراء .

ولنوسع نطاق البحث إلى المنزل ، فكم من والد يعود الى المنزل كشيبا مهموما ، يذكر ما

صادفه فى يومه من العناء ، وما لقيه من عنت الرؤساء وما جد من خلافه مع الزملاء ، والام بدورها تقص عليه مشاكل الجيران او متاعب الخدم أو ميلة الزمان وهكذا كأن المنزل وكر الشكاية وكن التعاسة ، فلا عجب لطفل يعيش فى هذا الجو المتبرم الصاخب أن يشب دون ان تنطبع فى مخيلته مباهج الطفولة السعيدة فاذا ما كبر يحث عن ضالته المنشودة بين الطرقات ودور اللهو والفساد .

من كل ماتقدم ندرك أن علاقة الوالد أو الام بالابن مسألة دقيقة يجب أن تنبنى على فهم واضح لاحتياجاته ، وفهم دقيق لمـــا يترتب على تصرفها من رد الفعل فى مختلف أدوار حياته ، فالقسوة فى تأديبه تدفعه إلى التمرد على كل سلطة ، والتهاون والتفريط يؤديان به الى الميوعة والعجز عن تكييفه لظروفه .

فالأبوة عبء ثقيل وليس هناك أكثر أهمية وأشد دقة من أن يكون الانسان والدا .

الاستفتاء

الاستفتاء هو مطالبة جميع أفراد الشعب الراشدين باعطاء اصواتهم عن مهمة ما . والذى اخترع هذه الطريقة هو نابليون . وان كان انتخاب رئيس الجمهورية فى الولايات المتحدة الامريكية كان على الدوام ولايزال يجرى كل أربعة أعوام بالاستفتاء .

والغرض من الاستفتاء هو الوثوق برأى الامة مباشرة اعتقادا بان البرلمان بعدد أعضائه المحدود ربما لا يعبر عن هذا الرأى . وقد استعمل نابليون طريقة الاستفتاء فى فرنسا حين أراد أن يحصل على تخويل من الشعب الفرنسى لكى يصير « القنصل الاول » مدى حياته . وكانت نتيجة استفتائه

مجموع الأصوات ٢٥٩ر٥٧٧ر٣

الاصوات المؤيدة له ٨٨٥ر٥٠٨ر٣

واعظم الامم التى تأخذ بطريقة الاستفتاء فى أيامنا هى سويسرا

نهضة ايران الحديثة

للاستاذ محمود ثابت

يخيل الى أن مستقبل طهران بل وايران كلها سيكون عظيما بفضل مجهود الشاه الحالى ، فهو يريد أن يرى بلاده تناظر فى القريب بلاد الغرب، رونقا ورواء ، لذلك أخذ يهدم القديم وينشىء الحديث بسرعة عجيبة فى كل البلاد ، ولقد أعاد لبلاده هيبة فى قلوب الأجانب انتزعها منهم انتزاعا ، وقد كان مركز البلاد مهددا باعتداء الروس من الشمال ، والانجليز من الجنوب ، وزاد ذلك الخطر منذ سنة ١٩٠٦ حتى كانت الحرب الكبرى فتقسموا داخل البلاد بحجة مطاردة الاتراك ، ولما أن انسلخت روسيا عن الحلفاء خشيتها انجلترا ، واحتلت جهة قزوين وما جاورها ، خصوصا وقد نشطت حركات البلشفيك عند بحر الخزر وفى أذربيجان . وأخذت شروط ولسون تلعب بلب الناس فى فارس تحت زعامة رضا خان ، فعرض الروس تنازلهم عن معاهدة ١٩٠٧ ، واستعدادهم للتنازل عن جميع الامتيازات التى كانت لروسيا فى فارس . وفى يونيه سنة ١٩١٩ قدم ممثل السوفيت فى فارس التصريح التالى :

١ ـ التنازل عن الديون الروسية فى فارس

٢ ـ التنازل عن التدخل فى شئون فارس

٣ ـ إلغاء الامتيازات والمنح الروسية هناك

٤ ـ التنازل عن البنك الروسى فى فارس

٥ ـ ترك الطرق والسكك الحديدية الروسية للحكومة الفارسية

٦ ـ التنازل عن كل أملاكهم هنـــاك ، وكان غرض روسيا من ذلك إحراج انجلترا ، ولقد

اعترفت روسيا باستعدادها لمساعدة فارس عسكريا ضد أى اعتداء ، وجعل بحر الخزر بحرا حرا لها ، وبذلك أضحت العلاقة بين الدولتين وثيقة جدا لكن العلاقة ضعفت قليلا لما حاولت روسيا بلشفة فارس وكانت على وشك الزحف لولا أنها خشيت انجلترا من الجنوب ، وكان الفرس مهرة فى انتهاز الفرص ، وأتاحت لهم الظروف قائدا عظيما هو رضا خان من عائلة متوسطة حارب مع الروس وأحبه جنوده فزحف بهم على طهران سنة ١٩٢١ وأصبح القائد العام ووزير الحربية ، وفى أكتوبر سنة ١٩٢٣ أضحى رئيس الوزراء ، ثم اعتلى على العرش فشابه مصطفى كمال فى أنه رجل سياسة ورجل سيف معاً وهو محب للنظم الاوربية لكن يظهر أنه كان أحكم من مصطفى كمال لأنه أدخل إصلاحاته دون أن يغضب رجال الدين ، ووجه أول اهتمامه لاصلاح الجيش فأعد جيشا محترما من أربعين ألف مقاتل وبينا السلطان احمد شاه يتروض فى ارقيرا كعادته قام رضا خان وكاد ينتخب رئيس المجلس لكنه قال بأن النظام الجمهورى يتنافى مع أصول الدين الاسلامى فتوج ملكا سنة ١٩٢٥ . وأجلس على عرش المغوليين فى قصر جولستان ، وكان قد اغتصبه نادر شاه من الهند قديما ، ثم عدل الدستور ، وتم ذلك دون إراقة قطرة دم واحدة ، وأخذ توا فى إعادة النظام وأصلح الضرائب والمالية بمعاونة بعض الأجانب من أصدقائه ، وفى ١٩٢٨ فتح البنك الملى (الأهلى) ووطدت علاقاته السلمية مع جيرانه ، وفى ١٩٣٢ أصبحت بلاده عضوا فى عصبة الامم ، وطالبت بما يأتى :

١ — إلغاء اتفاق الروس والانجليز سنة ١٩٠٧ والغاء المحاكم القنصلية والحرس القنصلى .

٢ — تعويض عن المناطق التى خربت خلال الحرب والغاء المنح المالية لتستقل البلاد ماليا .

٣ — تثبيت الحدود الفارسية ، لكن الانجليز اشترطوا أن تتعاون فارس مع انجلترا وان تقبل مستشارين منهم ومدربين للجيش الفارسى فكان رد الشاه على ذلك الرفض فى إباء والتهديد بالحرب فكأنهم اعتمدوا على نفوسهم وأزاحوا الكابوس الاجنبى ، وألغوا الامتيازات التى كانت تفت فى عضدهم ، وأضحى بغضهم للأجانب شديدا ، وبخاصة الانجليز ، والشاه والشعب الفارسى يتصرفون فى كل ما له علاقة بالاجانب فى شدة وصرامة لا تقبل هوادة . بلغنى أنه حدث مرة أن أحد الالمان زار طهران ، ولما عاد لبلاده كتب نقدا لفارس عموما ، ولاستبداد الشاه خصوصا ، وكانت الكتابة ماسة بكرامة البلاد ، فعرض سفير الفرس فى برلين الامر على القضاء فحكم ببراءة الكاتب ، وبمجرد

وصول الخبر لمسامع الشاه أصدر أمرا بالاستغناء عن جميع الموظفين الالمان في بلاد فارس كلها — وقد كان جل الخبراء الاجانب الذين تستعين فارس بخدمتهم من الالمان والفرنسيين فكانت تلك مباغتة قاسية ، عاد الالمان يصاحبون مراكزهم بعدها من جديد ، وقد لاقيت عالم الماني في مشهد (الدكتور باسوفيس) وهو ممن يقومون هناك باصلاح ذات البين ، وارجاع المركز الالماني لما كان عليه لدى الشاه . تصرف حازم يدل على مبلغ احترام القوم لانفسهم والمحافظة على قوميتهم .

دهشت كيف تكون بلاد كهذه نحن نفوقها في التقدم بخطى واسعة قد تحررت من الامتيازات الاجنبية ، وكنا نحن نرسف في أغلالها ؟ أليس الامر مجرد جرأة في الاقدام على الغائها في غير تردد فنحفظ بذلك كرامتنا وندل على أنا شعب جدير بالاحترام ؟

بعد أن اطمأن لالغاء الامتيازات وعدم تدخل الاجنبي ، بدأ باصلاحاته الداخلية : فمن الوجهة المالية اتخذ الذهب معيارا للنقود ، بعد أن كانت الفضة من قبل ، وجعل التجارة الخارجية احتكارا حكوميا ليقاوم زيادة الواردات ومنع دخول الفضة بتاتا ، وعدل الضرائب ، فبلغ الدخل خمسة ملايين جنيه ، يضاف اليه ضريبة السكر والشاي ، وهي حول مليون جنيه ، وضريبة الطرق حول ستمائة ألف جنيه ، وضريبة البترول ، وهي ١١٥١٩٧٩ جنيه ، وقد فرضت ضريبة الدخل — وكنا لا نستطيعها خوفا من الاجانب — منذ ابريل سنة ١٩٣٠ وتشمل ٣ في المائة من أرباح الشركات ، وبين ١ و٣ في المائة ممن زاد دخلهم على ٥٠٠ تومان (والتومان اثنا عشر قرشا) والجمارك اهم موارد الدخل العام وهو ينفق على الجيش ٤٤ في المائة من مجموع الدخل .

ولقد بدأ اصلاح الجيش بمعاونة مدربين من السويد ، وفي سنة ١٩٢٦ جعل التجنيد اجباريا ، فخريجو الجامعة لابد أن يخدموا في الجيش سنة واحدة ، وطلبة المدارس الثانوية سنة ونصفا . ومن يعولون أسرة يخدمون أربعة شهور ونصفا ، ويشرف على وزارة الحربية الشاه نفسه : ومجموع الجيش النظامي كامل العدد اليوم ثمانون ألفا ويحاولون إبلاغه مائة ألف ، وفي طهران مدرستان حربيتان يدخلهما الحاصلون على الشهادة الثانوية فضلا عن البعوث الحربية الكثيرة الى المانيا وفرنسا وقد بدأ نواة الاسطول البحري والجوي . والحربية غير مسئولة أمام البرلمان بل امام الشاه وحده .

أما في التعليم فقد عمم المدارس القروية ومدتها اربع سنين ، ومدارس المدن مدتها ست أخرى

ويعدها المدارس العليا وهو يحاول جعل التعليم اجباريا ، وأهم ما يرمى اليه التعليم هناك الاعتزاز بالوحدة القومية ، وتمجيد ماضى البلاد وتثقيف العقل والجسم والتربية الدينية .

ويعنى الشاه اليوم بالطرق العناية كلها . حقا اشتهر الفرس بذلك من زمان بعيد حتى قيل انهم أول الامم فتحا لها ، فقد عبدوها منذ سنة ١٧٠٠ ق . م . وكنا نشاهد بعض أطلال من القناطر والجسور القديمة لاتزال باقية . ولقد كانت شهرتهم تفوق فى الطرق شهرة الروم . ولقد كان النقل الى الحرب الكبرى بالدواب ، ولكن تدخل الانجليز والروس ساعد على العناية بالطرق ووصلت أطراف البلاد بالسيارات ، كذلك شجعت الظروف الحربية اقامة المطارات ، وقد تسلمها الفرس اليوم ، وبفضل العناية بالطرق زاد نفوذ الحكومة المركزية ورخصت أجور نقل السلع التجارية ، وخفت ويلات المجاعات وقد أمن الشاه تلك الطرق باقامة المخافر على امتدادها فى فترات قصيرة وحتى وسط الجبل القفر تالى لايقطنها أحـــد الى ذلك الا كثار من والمسافر خانات (او كاروان سراى) فى كل مكان ، ومن أول مايشغل اهتمام الشاه السكة الحديدية التى فكر فى نشرها جديا ، وقد بدأ العمل فى وصل البحرين : الخزر والخليج الفارسى بخط حديدى لكى تستقل البلاد عن جاراتها فى أمور النقل والتجارة ، وهو ماض فى مدها رغم كثرة الصعوبات التى تواجههم كرداءة الجو فى البحرين وكثرة الجبال فبين طهران وبحر الخزر مالا يقل عن ٢٥ ميلا من الانفاق ، لذلك تكلفهم السكة غاليا ، ويرى البعض أنه يفضل مد الخط بين طهران وبغداد ، ولم يقبل الشاه أن يعرض الأمر على شركات أجنبية بل يعتمد فى النفقات على ضرائب السكر والشاى التى تزيد وحدها على مليون جنيه كل عام ، ويخال بعض الاقتصاديين أن فى ذلك خطرا على ثروة البلاد وتعطيلا لأموالها التى هى فى حاجة اليها فى أمور أخرى ، على أن ما قاسوه من عبء التدخل الاجنبي الممقوت جعله ينأى ما استطاع عنهم وعن رؤوس أموالهم . وقد جاءت الانباء منذ شهرين بأن الخط قد تم وافتتحه جلالة الشاه

على أن البلاد ينقصها الشيء الكثير ، من ذلك الشئون الصحية والعناية بها ، فماء الشرب مثلا من المشكلات هناك حتى فى طهران نفسها فهم اعتادوا من زمان بعيد أن يجمعوا منابع العيون ويخصصوا لها قنوات تسير منها سراديب الى أحواض تختزن فيها وكلما طغت سال الماء الزائد الى المجارى التى تشق البلدان وتراها تجرى على جوانب الطرق مكشوفة لكل عابث ، فترى هذا يغتسل وبعده آخر يستقى ،

ثم ثالث يبصق ورابع يلقى بالماء القذر فيها ، وقد شاهدت فى طهران قوما يغسلون وجوههم من ماء يجرى بعد أن غسل به الطريق ولما وقفت مدهوشا قالوا أليس ماء جاريا؟ لذلك يشترى غالب الاجانب ماءهم من السفارة الانجليزية التى أقامت لها مضخة ومرشحا خاصا ، فليس بمستغرب اذن أنك ترى الأمراض منتشرة وبخاصة الجدرى الذى يشوه وجوه الكثير وتشويه العيون . والقرع منتشر حتى بين الطبقة المثقفة ، فيندر أن ترى رجلا من الطبقات الفقيرة سليم الرأس ، ويزيد ذلك سوءا عدم صرف القاذورات ، فكثير من بيوتهم تخلو من «الادبخانات» وغالبهم يقضى حاجته فى الخلوات ويغتسلون على مجارى المياه التى يستمد منها غيرهم ، والاطباء هنـــاك قليلون لذلك كان متوسط المناعة الصحية فيمن تتراوح سنهم بين ٢٥ و ٥٠ سنة أقل من نظرائهم فى البلدان الراقية بعشرة أضعاف



قوة مصر في عصور الفراعنة

للاستاذ عبد الرحمن زكي امين المتحف الحربي

قال زعيم دولة كبيرة : لكي يفخر الانسان ويعتز بانتسابه إلى وطن عظيم مجيد يجب عليه قبل كل شيء أن يعرف هذا الوطن ، فالوطن يحارب في سبيل مايحبه ، وهو لايحب الا من يحترمه ، ولايحترم الا مايعرفه .

لذلك وجب علينا أن نعرف قبل كل شيء موطننا وذلك لكي نحبه . فاذا أحببناه فديناه بأرواحنا ورويناه بدمائنا .

انه من أعز الواجبات الوطنية دراسة بلادنا ، جغرافيا وتاريخيا لنقف على جمالها وفتنتها وسحرها ولندرك قوتها ومجدها وعظمتها ، ولنعرف مكانة مصر الفرعونية ومصر في الاسلامية ومصر القرنين التاسع عشر والعشرين : فالواجب أن نلم بكل هذه الحقائق وأن نذكر دائما جيوش مصر الفرعونية وماتم على أيدى الفراعنة ، ونحى دائما ذكرى سلاطيننا ولنمجد دائما ذكريانا .

لنذكر أيام هليوبوليس وممفيس وطيبة ، ولنعرف ما كانت عليه الاسكندرية والفرما والفسطاط ولنقدر تلك الأيام السالفة ، أيام كانت القاهرة عاصمة دولة اسلامية مجيدة .

لنذكر أيضا عهد الدولة الفاطمية الذى وصلت فيه مصر الى أن أصبح البحر الابيض بحيرة مصرية ولنذكر عهد الأيوبيين وبيبرس وقايتباى لما كانت مصر زعيمة الشرق والغرب .

قد لا أكون مغاليا اذا قلت أننا لم ندرس أحوال بلادنا كما يجب ، ولم نكون صورة صحيحة عن مصر ومجدها وحضارتها وتقدمها ، وكأننا لم نعرف أنه كانت لنا عظمة يجب السهر على

استرجاعها ، وواجبنا أن نؤمن برقى ماضينا لكى نثق بأنفسنا ، فاذا لم نؤمن بقوة الماضى وقدرته فلن نثق بأنفسنا .

لندرس تاريخ بلادنا دراسة مشبعة بالوطنية والحماسة لكى نحيط بمجد الوطن الذى نموت لأجله ولنعرف مقام مصر عصرا بعد عصر .

لقد كانت مصر فى زمن الفاطميين والأيوبيين أقوى دول الشرق والغرب ، وكنا فى عهد السلاطين قابضين على زمام اقتصاديات البحر المتوسط . وكنا فى عهد محمد على الكبير يرفرف علمنا على كريت والاناضول والسودان والشام والبلاد المقدسة واليونان أيضا . والى عهد اسمعيل كانت لنا دولة تمتد الى منابع النيل والصومال .

وبالاختصار أيها القراء يجب أن يعرف جنودنا العصور الزاهية المشرقة التى مرت ببلادنا العزيزة ، فمصر أجدر الأمم فخرا بتاريخها .

نعلم جميعا أن مصر عظيمة بماضيها المجيد فقد كانت نبراس الحضارات ومعهدا للعلوم ومنهلا للفنون . كانت دولة فاتحة وظلت أجيالا طويلة تحمى الشرق من عدوان الغرب كما بهرت جميع الأمم المطلة بلدانها على سواحل البحر الأبيض المتوسط بعظمتها ومجدها بعد أن أخضعت بلدانا قوية لسيادتها .

كانت مصر أسبق أمم العالم الى ميادين العلم فى وقت كانت رومة واسبرطه وأثينا ترسف فى الخمول والجهل . مصر هى التى رسمت طريق الحضارة للجيش البشرى واختطت له وسائل الحياة .

كانت مصر أول بلاد العالم التى جرت فى طرقاتها وصحاريها ووديانها العربات الحربية تحمل الابطال الظافرين : أحمس وتحوتمس ورمسيس وابسماتيك وصلاح الدين وابراهيم . ومن وادى النيل السعيد تدفقت جحافل الجيوش المصرية لتفتح العالم ولترفع علم مصر عاليا .

وطبيعة مصر منذ أقدم الاجيال لاتسمح لها الا أن تكون أمة متحدة . فهى من بين بلدان العالم القليلة التى يغذيها نهر عظيم بلا منافس . وقد أملت طبيعتها عليها أن يحكمها رجل واحد فرأينا منذ فجر التاريخ أميرا مصريا أصبح فيما بعد الملك مينا الذى أسس ملكا عظيما شيده على أنقاض الحكومات المحلية فكان الرجل الاول الذى حكم مصر ولم يكفه تأسيس هذا الملك العظيم : بل جعل حب الوطن

أيمانا راسخا فى قلوب مواطنيه ، وجعلهم يشعرون أنهم أبناء وطن عظيم مقدس .

• • •

لانبالغ اذا قلنا اننا لانصيب الحقيقة اذا حاولنا أن نعرف كيف اتحدت مقاطعات الدلتا وألفت منها دولة الشمال . وكيف اتحدت أقاليم الصعيد وكونت دولة الجنوب .

لكن الذى لاشك فيه أن هذا الاتحاد لم يتم بدون حرب . ومن المحتمل أن تكون أول معركة حاسمة معروفة فى التاريخ المصرى هى المعركة التى نشبت بقيادة « مينا » أول فراعنة الأسرة الاولى المصرية حين غزا البلاد الشمالية وأخضعها لسلطانه . وقام بعد ذلك بتثبيت عاصمة ملكه الجديد فى ذلك الموقع الحربى الهام « ممفيس » عند رأس الدلتا بالقرب من ضاحية القاهرة القبلية « حلوان » الحديثة .

وقد اختلفت الآراء حول المعركة الاولى ، وعن نوع الحروب التى تبعتها . وهل كانت حروبا تشبه المعارك التى تقوم بين القبائل بعضها البعض أم كانت حروبا حقيقية كالتى عرفتها مصر فى أثناء القرون الطويلة وحافظت خلالها على حضارتها العظيمة ؟ انا نستنتج مما كشف من الآثار أن تلك المعارك القديمة كانت منظمة بلغ عدد ضحاياها ٦٢٣٥ قتيلا و ٤٤٠٠٠ أسيرا . وأنه كانت تسودها روح حربية قوية .

ترك لنا الفراعنة الاولون براهين كثيرة تشهد بروح الاقتتال التى سادت حروبهم ، فاننا نشاهد تذكارا لانتصارات الملك نارمر « مينا » مدونة على لوحة كبيرة من « شيست » على أحد وجهيها يرى رافعا دبوسه ليضرب به أسيرا ربما كان من سكان الدلتا . والمنظر الرئيسى على الوجه الثانى يمثل الملك سائرا مع أتباعه ليشرف على الاسرى المذبوحين وقد سار حاملو أعلام المعبودات المختلفة أمام الملك . ويرى تحت هذا المنظر حيوانان خرافيان خاصان بالعصر العتيق . وقد مثل الملك فى الاسفل على هيئة ثور يهدم قلعة استولى عليها .

ولم يكن اخضاع أمارات الشمال أمرا سهلا . فاننا نعلم أن الثورات الداخلية كانت تنشب بين حين وآخر . وكانت أعمال العنف مستمرة الى أيام الاسرة الثالثة المصرية . ونستنتج من قصص الاسرى المنقوشة على كثير من الآثار القديمة عدة أمور متعلقة بحروب الدولة القديمة .

• • •

ان اتفاق بعض المؤرخين على أن مصر تمتعت بنعيم السلام أحقابا طويلة حتى غزا الهكسوس

الذانا أمر يتطلب التمحيص . على أن مما لا شك فيه انه ليس فى الديانة المصرية إشارة أو نصوص تحرم الحرب وتلعنها ، ولم تخرج مصر للعالم منذ القديم نبيا أو مصلحا كزوكا أو لاوتسى Lao tse هاجم فى تعاليمه أو وصاياه الحرب . لقد كانت فراعنة مصر أبطالا محاربين يتباهون بجنودهم فيما دونوه على نقوش الجرانيت ، وكانوا يحبون الموت فى سبيل الدفاع عن أوطانهم أو عند ما يقاتلون دولة عظيمة من دول العالم القديم ، وكانت الآلهة المصرية تحبب الى الفراعنة حب القتال ومخاصمة الاعداء كما أنها ألهمتهم الانتصار ، وان المعابد والهياكل القديمة التى شيدها الملوك المصريون بعد عودتهم ظافرين من ساحات القتال لخير شاهد على تمجيدهم للحرب . فقد كانت عقيدة سامية حازت رضاء الآلهة .

لئن كان هناك نعيم دنيوى ، فلا شك أن مصر كانت جنة هذا النعيم ، فجوها المحبوب وسماؤها صافية ، وجمال طبيعتها الدائم ، وشمس شتائها الساطعة ، تضاف الى تلك الخيرات هبة نيلها السنوية ، كل هذه الفضائل جعلت مصر وحيدة فى ميزانها ، مطمئنة فى حياتها بصحرائها وصارت بعيدة عن جشع أعدائها

كانت الصحراء كما هى اليوم على ضفتى وادى النيل حارسة لمصر تحميها من أعدائها كما تحمى جزيرة البريطانيين البحار فى عصر كان بحر الروم لا يحمل على صدره مشكلات المدرعات وحاملات الطائرات كما غدا اليوم . فلماذا أراد المصريون الحرب وهم يتمتعون بهذا النعيم . وما الذى دفع جيوش مصر لفتح بلاد الدول القديمة المجاورة ؟

لقد كان لزاما على أهل مصر أن يحافظوا بحياتهم وبكل عزيز يملكونه على هذا الشريط الفضى الذى ما زلنا الى اليوم نحميه ونقيه بكل عزيز . يحمونه من غارات أهل البادية والقبائل الهمجية من أهل النوبة ، ومن هنا نشأ أول تدريب للمصريين على القتال بعد ما الفوا مدنيتهم .

فلما نمت حاجة مدنية المصريين فكروا فى زيادة ثروتهم ، فتطلعوا الى شبه جزيرة سيناء ، واستولوا بقواتهم على مناجمها الذهبية واخضعوا اهل الصحراء الشرقية واستثمروا خيراتها ، ولما لم يقنعوا بما وضعوا ايديهم عليه انشأوا السفن الكبيرة والفوا أقدم أسطول عرف فى التاريخ ليتاجروا مع بلاد بنت (الصومال) ولجلب خيرات تلك البلاد البعيدة الى مصر .

ثم اصطدم المصريون بقوات الهكسوس التي احتلت البلاد ، لكن لم يمض قرنان حتى تغير الموقف ، وتعلم الشعب المصرى دروسا فى مدرسة الحياة حتى اشتد القتال بقيادة أمير طيبة « سقنن رع » الاول فالثانى ، حتى اذا جاء عهد الملك سقنن رع الثالث كانت الحرب قد أصبحت شديدة.

قامت الحرب سجالا بين الفريقين ، وقاد سقنن رع الثالث الجيش المصرى والتقى مع العدو وتطاحنا بالقرب من الاشمونين ، واذا بسقنن رع الثالث يقم شهيد وطنيته قتيلا فى ميدان الحرب فخلفه ابنه البطل « كاموزى » فقاد الجيش ونجح فى طرد الهكسوس الى مدينة منف ، لكنه مات فتولى القيادة ملك جديد هو أحمس الاول أصغر أبناء سقنن رع الثالث واشجعهم وأقدمهم فضرب الهكسوس الضربة القاضية وانقذ مصر من الاعداء واعاد سيادتها .

عرف أحمس كيف يستخدم تلك الروح الوطنية التي كان قد بثها فى صدور جنوده الملتهبة عقب تخليص وطنهم من المغيرين ، فأنشأ أول جيش للبلاد تمتاز جنوده بخدماتهم الطويلة . وذلك لكى يحقق مطامعه فى الفتوحات السورية . وكان الجيش ينقسم الى قسمين :

القسم الاول من الجيش للخدمة فى الميدان السورى ، والقسم الثانى من الجيش للخدمة فى مصر وامداد القسم الاول عند الحاجة كاحتياطى له .

وبمرور السنين توطدت أركان الدولة المصرية ونظمت طبقات الشعب . وعم الامن البلاد وامتلأ الوادى الجميل بالآثار الفخمة والمعابد العظيمة والتماثيل السامية . ونظمت وسائل الرى وتقدمت الزراعة ومهدت الطرق وقويت الجسور . وشيد خزان لمياه النيل المتدفقة فى بحيرة « موريس » وكانت فى الامبراطورية المصرية ثلاث سلطات : الملك ، ورجال الجيش . ورجال الدين . فكان الملك يستمد سلطانه من الآلهة مباشرة وكان الى جانبه مجلس مؤلف من رجال الدين يستشيرهم فى المشكلات .

وكان رجال الجيش ينتخبون الملك . فاذا تولى شئون البلاد أحاط به رجال الدين وأمراء البلاد.

* * *

فى ذلك الحين كانت الخدمة العسكرية محببة الى الجندى لايجد فيهـا ما يرهقه . بل يرى فيها ما يحقق آماله فى خدمة بلاده . كان يقضى حياة رغدة يتمتع فى أثناء السلم فى ضيعته ذات الثمانية الأفدنة

فكان يشعر أنه صاحب حق مكتسب فى اسعاد وطنه والمحافظة على سلامته . وبامتيازاته التى تميزها بها على أقرانه من غير طبقة الجند فضلا عن حصانته فكان يقدم على الموت فى سبيل الشرف ، ونيل أوسمة البطوله جزاء له على أعماله التى يمتاز بها فى الميدان. وقد قال هيرودوت : لم يكن مسموحا للجند بمزاولة مهنة أخرى سوى الحرب وكان الابن يخلف أباه فيها ، فتكونت بذلك طبقة الجند التى أخذت تنفصل شيئا فشيئا عن الأمة ، وكان للرجل المندمج فى الطبقة الحربية الحق فى امتلاك أرض يمنيه دخلها على تجهيز نفسه ، وعليه إعداد أسلحته وعتاده . وكان للملك حرس خاص يؤلف من ألفى رجل يغيرون كل سنة ويتقدون أجرة الخدمة من الخزانة .

ومن الامتيازات التى كان الحربيون متمتعين بها أنهم كانوا لايسجنون من جراء الديون لأنهم ملك للملك ولايمكن أن يحال بينهم وبين تلبية ندائه .

وقد قال المؤرخ الصقلى «ديودور» ان التربية الحربية فى مصر كانت تبتدىء منذ الصغر فكانوا يبيون بجمع الصغار ، وكانوا يعودونهم على تمرينات دائمة ، وعلى اتعاب أجسامهم ، ولا يجوز لواحد منهم أن يتناول الغداء إلا بعد أن يقطع ثمانية عشر كيلو مترا تقريبا فى السباق ، وقيل أن أطعمة للافطار كانت ترفع لهم على أهداف عالية ، فاذا ما استطاعوا تحويلها بالسهم عن مكانها أخذوها وإلا فلا . وجميع هذه التمرينات يدأب عليها الجندى فى زمن السلم ثم يدرب بالتوالى على مختلف الحركات وعلى ما نسميه فى أيامنا بالمناورات من هجوم ودفاع وحصار .

وكانت النتيجة أن أصبح الجيش الفرعونى قويا جيد التعليم ، كامل النظام والدراية ، تجرى تدريباته بمنتهى الدقة ، مزوداً بأسلحة دفاعية وهجومية من خير أسلحة ذلك الزمن . وسنرى الى أى حد كسب الجيش لمصر امبراطورية عظيمة .

• • •

ان الاخلاق والصفات الحربية هى سياج الوطن فى كل زمان ومكان ، وليس العالم سوى ميدان تتصارع فيه الامم . لا تخشى كل منها الا القوة ولا تفوز الا بالقوة ولا تموت الا لحرمانها من القوة.

وقد وهب الله المصرى منذ القدم الصفات الحربية ، وهو لكى يدافع عن حقوق بلاده ويحافظ عليها اتبع طريق القوة ولذا استطاع أن يحمى بلاده آلاف السنين لأنه كان قويا .

وكانت المدن المصرية فى أيام الفراعنة تموج بالشبيبة الحية المملوءة قوة ونشاطا ، واننا نلمح من خلال نظراتهم الشجاعة وحب الموت فى سبيل وطنهم . فكنت ترى أمة حربية ألفت الحرب لانها آمنت أن فيها حياتها واستقلالها ، وكانت مصر فى تلك العصور دولة حربية بكل معانى الكلمة وأصبحت الجندية السبيل المؤدى للجاه والشرف . حتى العبد كان يأمل بانضمامه الى الجيش أن يصل الى أعلا مناصب الدولة

وفى ميادين القتال كان الجندى المصرى لا يرحم ، فكان ينقض بدون شفقة لكى ينتقم من عدوه وهو فى حالة هياج وغيظ شديدين ، وكثيرا ما رأينا على الآثار المصرية نقوشا تبين الجنود المصريين وقد وطئت أقدامهم رقاب قتلاهم ، وهم يزهون بموقفهم . كما نرى جنودا آخرين يطعنون برماحهم صدور أعدائهم . ونستطيع الى اليوم أن نميز صور الجنود المصريين بوجوههم الناعمة ورؤوسهم الحليقة وهم يطاردون قوات العدو ذى اللحية الطويلة والثياب الفضفاضة التى كانت تعرقل حركتهم .

• • •

كان أعداء مصر أولا من البدو وسكان شبه جزيرة العرب ، وهم قوم رحل كانوا يرعون الماشية، ولم تكن لهم وحدة سياسية ، بل كانوا قبائل متفرقة يهددون السهل الشرقى لدلتا النيل .

وكثيرا ما انتهزوا الفرص بالأمن والقيام بالسلب والنهب حتى استطاعوا فى فترة خاملة احتلال جزء كبير من الدلتا ، وأسسوا أسرة ملكية حكمت مصر مدة غير قصيرة ، وهم وان كانوا قد استولوا على البلاد ، فان أهلها لم يرضخوا لحكمهم وكانوا حربا عليهم . هؤلاء القوم هم الهكسوس أو الرعاة الذين تغلبوا على البلاد بفضل قواتهم الراكبة فانهم لما جاءوا ممتطين ظهور جيادهم أو جمالهم فزع المصريون الذين لم يشاهدوا من قبل هذا الحيوان الغريب فى الوادى السعيد وظنوه حيوانا خرافيا .

كان هذا الفتح سريعا وكاملا ، فاستولوا على العاصمة منفيس واستعبدت مصر ، واضطر الملك وأسرته ورجال بلاطه الى البحث عن وطن لهم فى الصحراء لمقاومة أعداء البلاد .

لم يغير هؤلاء الرعاة حياة البداوة التى عاشوا عليها ، فلم تتغير طباعهم أو تعدل عاداتهم ، بل

ظلوا على طبيعتهم يميلون الى حياة البادين ولم يشيدوا البيوت أو الهياكل ، وعاشوا بعيدين عن المصريين لا يعرفونهم ، وكانت جل أعمال حكومتهم جمع الضرائب بقسوة وبدون عدل فكرههم المصريون وأضمروا لهم العدوان وكان كل فرد منهم ثائرا عليهم .

كان الزمن وحده هو الذى قضى على حكم الرعاة فانغمسوا فى الرفاهية والترف وانحطت نفوسهم وفقدوا غرائزهم الاصلية الى أن تمكن أمير من أهالى الجنوب من جمع كلمة الامراء لانهم وجدوا فيه منقذا لهم من العبودية والرق فقاموا يدا واحدة على المغتصبين وثاروا ثورة عامة وهكذا طردهم أحمس نهائيا من مصر وقذفهم الى بلادهم الفقيرة التى اتوا منها .

كان من وراء روح التجديد الوطنى الذى بدأته فى الحقيقة « تيتى شيرى » جدة أحمس فى مصر والحروب التى قامت بها مع خلفائها على مناوأة الهكسوس أن تخلص المصريون من هذا العنصر الغريب المحتل وطاردوه الى سينا على أيدى أحمس كما رأينا ، ثم قام خلفاؤه من بعده بملاحقة هذا العدو فى سوريا لان احتلالها هو الضمان لسلامة مصر ، وذلك بالاستيلاء على طريقها الطبيعى الى آسيا وأوربا .

كانت المدة التى أعقبت عصر النهضة المصرية أروع حقبة فى التاريخ المصرى . فقد أثار طرد الرعاة روحا جديدة وحماسة قوية لا يسعها وادى النيل على ضيق جنباته . فلم تصبح مصر أمة مستقلة فحسب ، بل صارت أمة فاتحة تريد أن تجد لها مكانا متسعا يليق بنفسيتها الجديدة فاجتاحت جيوشها هضاب آسيا الى شواطىء الفرات ومنها الى بحر قزوين ، واكتسح أسطولها الناشىء جميع الممتلكات فى طريقه الى المحيط الهندى الى مصب نهر السند ، ونستطيع أن نشاهد على الاثار أنباء تلك الفتوح المصرية واضحة جلية .

فما الذى نراه على تلك الآثار ؟ نرى الجحافل المصرية بقوانها حملة الرماح والدروع والقسى تسير نحو أغراضها الحربية فيذوب أمامها الاعداء كما يذوب الثلج أمام النار . ونرى العربات الحربية الثقيلة وقد امتطتها جنود مصر فيشقون صفوف الاعداء ويقضون عليهم بسهامهم المميتة ويحاصرون المدن المنيعة ويسلطون عليها أدوات القتال والقذائف وسلالم الحصار وأبراج الموت المتحركة . فاذا تم لهم النصر عاد الفرعون يحمل جنوده الفائزون أعلام النصر بينما يعدو الملوك الاسرى أمام عربة

الفرعون الحربية أو ممسكين بها . وتتلو هذا الحفل صفوف الاسرى الطويلة يحملون نتاج اوطانهم من نباتات وخضر وفواكه ، تسير معهم فصائل الحيوان المختلفة مما ليس له مثيل فى مصر ومن نوع فصائلها يستدل على البلاد التى وطئتها أقدام أبناء وادى النيل .

فاذا وصلت مواكب الفرعون منصورة الى مصر شيد الملك معبدا عظيما من الجرانيت أو الحجارة الكبيرة ، وزين مدخله بالمسلات الجرانيتية الخضراء يسبقه طريق صفت على جانبيه تماثيل أبى الهول ثم قام الفنانون بمساعدة رجال التاريخ والعسكريين بتدوين أنبائهم العسكرية وحوادث الحملة الحربية ليخلدوا ذكراهم على مر الزمان .

فكانت انتصارات الفراعنة الحجر الاساسى الذى ازدهرت به الفنون المصرية القديمة

• • •

فاذا وصلنا الى عصر الاسرة الثامنة عشرة وجدنا الروح العسكرى قد قوى فى صدور أبناء الشعب المصرى وبهذا الروح والقوة سار الملك الشاب تحتمس الثالث على رأس جيشه العظيم الى معركة « مجدو » الاولى حيث وضع القواعد الاولى لفن الحرب التى سار على ضوئها الفيلد مارشال اللنبى فى طليعة خيالته وأصدقاء لورانس من أبناء شبه الجزيرة العربية فاكتسحوا خطوط المواصلات التركية

ان بطل الاسرة الثامنة عشرة الحربى هو تحتمس الثالث الذى حارب السوريين عشرين سنة متتالية واستنفد جهوده وجهود رجاله فى سبيل تثبيت سلطان مصر فى هذه الاصقاع

اعتلى تحتمس العرش سنة ١٥٠١ ق . م وأخذ يعد للحرب عدتها سنة ١٤٧٩ ق . م . فقام من مصر مارا بغزة حتى وصل الى « يحيم » وعرونة على نحو عشرة أميال فى الشمال من « طولكرم » . وكانت أمام تحتمس ثلاثة طرق للوصول الى « مجدو » حيث كان يعسكر امير قادش ومن معه من امراء سوريا الوسطى وأمراء الكنعانيين فى فلسطين ، وكان هذا الامير قد اقام فى مجدو ليدفع أى خطر والطريق الاولى الى الشرق هى التى تمر بالقرب من طولكرم ونابلس وبجنين التى تؤدى الى الغرب هى التى تمر بوادى الروحه وتفضى الى مكان على نحو سبعة أميال شمال مجدو أما الثالثة فهى طريق ضيق يشبه صعب التسلق ينتهى أمام مجدو

أراد الامراء اتباع إحدى الطريقين الاولين ، لكن تحتمس أصر على اجتياز الثالثة وهكذا

كان قسار فى طليعة جيشه . وبعد مسير نحو ثمانية أميال منها ستة صعودا من عرعره (٧٠٧ قدم) الى عين ابراهيم قرب مسموس (١٢٠٠ قدم) واثنان هبوطا الى عين (كينا) أشرف على مجدو بعد أن استغرقت سفرتهم نصف شهر مايو .

كان حب الاستقلال أكبر العلل فى ضياع استقلال الشعوب السامية فكانوا يلجأون إلى نظام المدن فكل جماعة قوية تؤلف قوة مستقلة وتشيد مدينة فى نقطة معينة تحيطها بسور حصين وكان أهل كل مدينة يقيمون لهم هيكلا للعبادة ، وهذه التفرقة أضعفت وحدتهم حتى وقف تحتمس فى معركة مجدو التاريخية ، وخاطب جنوده قائلا :

« إنكم إن انتصرتم اليوم على أعدائكم قضيتم على ألف مدينة وألف ملك » مشيرا الى الحلف الذى تم قبيل تلك المعركة بين ملوك البلاد وزعمائها تحت زعامة ملك قادش لصد زحف المصريين ولكن أنى لتلك القوات المفككة أن تقف فى وجه الفاتح العظيم وجيشه المنظم المتحد تحت قيادة واحدة .

استعد الجيش المصرى فى ذلك اليوم للكفاح . وفى صبيحة اليوم التالى التقى الجيشان المصرى والسورى فتغلب الاول على الثانى ، والتف فى خط طويل يقترب من التل الى شمال مجدو ثم تغلب القلب بقيادة تحتمس نفسه ودحر السوريين الى مجدو . واشتغل المصريون بالغنيمة فتمكن أمير قادش ومن معه من التحصين فى مجدو فحاصر الملك المدينة الى أن خضعت له . وقد كان احتلال مجدو كاحتلال ألف مدينة لان كل أمير ثائر كان فيها . وقد غنم المصريون ٢٩٤ مركبة حربية بعضها مذهب و٢٠٠ درع وغيرها ، وقد دونت هذه الاسلاب على درج جلدى فى هيكل آمون بطيبه ، وعامل المصريون الاسرى بكل لطف كعادتهم . وأتم تحتمس بعدها سيره الى فينيقيا واحتل «صور»

* * *

فاذا انتقلنا من فتوحات تحتمس الثالث والذين خلفوه من فراعنة الاسرة الثامنة عشرة ، أمثال تحتمس الرابع وامنحتب الثانى والثالث وجدنا الامبراطورية المصرية الاولى فى أزهى عصورها . حتى يحكم البلاد اخناتون « أمنحتب الرابع » فيشتغل بالامور الدينية ويبدأ انحلال السيادة المصرية فى آسيا الى أن تنتهى فى عصر توت عنخ — آمون . وسرعان ما يقوم البطل الجندى «حور محب» فيؤسس الاسرة التاسعة عشرة على أنقاض سابقتها ويصلح ما أفسده أسلافه ، ويعيد تنظيم

الامبراطورية الثانية ، وكانت أم حملاته فى بلاد النوبة .

وبموته يعتلى العرش رمسيس الأول ثم سيتى الأول الذى استرجع فلسطين وأخضع البدو ثم الفينيقيين . وواصل سيره حتى التحم بالحيثيين وعقد معهم محالفة . وفى ذلك الحين تستعيد مصر مجدها على أيدى البطل رمسيس الثانى (١٢٨٨ — ١٢٢١ ق . م) بطل معركة قادش الخالدة التى درسها كثير من رجال التاريخ المصرى فى بريطانيا وألمانيا وفرنسا ومصر وما زالت مخلدة على جدران معابدنا المصرية شعرا ونقشاً .

* * *

والحديث عن معركة قادش حديث خلاب طويل ، اذا حاولنا تلخيصه استغرق ساعات منا ، وواجب أن يكون موضوع دراسة علمية تاريخية لضباط هيئة أركان الحرب . ومن حسن الحظ أن معظم أخبار هذه المعركة مازالت محفوظة فى معبد مدينة هابو بالرمسيوم وقد محصها بعناية المؤرخ الاميركى « برستد » وأخرج منها دراسة كاملة لاتقل فى ناحية من نواحيها عن دراسة احدى معارك القتال فى العصر الحديث .

وقد دارت هذه المعركة بين جيوش فرعون التى كانت تتألف من أربع فرق رئيسية وبين ملوك سوريا وعلى رأسهم ملك الحيثيين ، واستمرت أعواما طويلة . وهذه الحروب وان لم تحقق كل آمال رمسيس الثانى ، فقد خرجت منها مصر مرفوعة الرأس محتفظة بكرامتها بمعاهدة عقدتها مع الحيثيين كانت أول معاهدة صداقة بين مصر وقوة أسيوية .

والى اليوم نجد على الوجه الخارجى لجدار من جدران معبد الكرنك نص معاهدة السلام المذكورة ،

وبانتهاء حكم الاسرة التاسعة عشرة نصل الى رمسيس الثالث من ملوك الأسرة العشرين . الذى هزم الليبيين وسكان البحر ونظم ممالكه الاسيوية وحصن حدودها .

وقد أصابت مصر فترة خمول لحكمها الليبيون والنوبيون فالاشوريون ، ولكن ما لبث الامر طويلا حتى نهضت على يد مؤسس الأسرة السادسة والعشرين « ابسماتيك » الذى نعده بين أقوى فراعنة مصر ، واليه يعود الفضل فى التخلص من حكم الاشوريين وطردهم من البلاد . ورغم انه

استعان بالجنود المرتزقه من الاغريق وسكان جزر البحر الابيض وألف منهم بعض فرق الجيش المصرى .

استطاع « ابسماتيك » بجيشه الناشىء أن يقضى على نفوذ منافسيه من الامراء . وكانت معركة « مومنيس » آخر المعارك التى دارت بينه وبينهم . فقضى بذلك على نفوذهم نهائيا وبدأ ينفذ سياسة التوسع . فانتهز الفرصة الملائمة لغزو سوريا وجهز جيشا من المصريين والاغريق . سار فى طليعته وعبر به الصحراء ، وما لبث أن استولى على غزة وعسقلان ثم دخل مدينة «أشدود» منتصرا ودانت له البلاد بأسرها . وعاد الى مصر منتصرا . وقد كانت مدة حكمه ٤٥ عاما . ونعتبره من أقوى فراعنة مصر .

وخلفه ابنه «نخاو» الذى فى عهده ازدهر الاسطول المصرى . وان كانت مصر فقدت بعض نفوذها فى سوريا

وتولى الملك من بعده «بسماتيك» الثانى فأحمس الثانى وابسماتيك الثالث ، وفى عهده قدم الفرس الى مصر تحت قيادة قمبيز وانتصروا على المصريين ، وحاول بعض الامراء إخراجهم مرارا الى أن استولى اسكندر الاكبر وأسس دولته الشرقية الكبيرة . ثم خلفه على مصر أسرة البطالسة المشهورة (٣٣٢ — ٣٠ ق م) وفى عهد هذه الاسرة كانت مصر سيدة العالم على الاطلاق .

عبد الرحمن زكى

انتهاك حرية الفكر

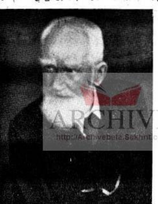
فى جامعة فؤاد الاول

حدث قبل نحو خمسة او ستة اسابيع حادث كان له اشأم مغزى فى حياة الثقافة المصرية . ذلك ان طلبة الجامعة من كلية الحقوق هجموا على طلبة كليـــة الاداب وطردوهم من مقاعدهم واعتدوا على بعض الاساتذة وطلبوا منع تدريس الدرامة الجليلة التى الفها برنارد شو وهى درامة «جان دارك» ونزلت الجامعة على رأيهم وسحبت الدرامة المذكورة

والجامعة ليست من حيث مهمتها الاولى دار تعليم . وانما هى دار البحث العلمى ويمكن ان نتخيل الجامعة بلا طلبة . ولكننا لا يمكننا ان نتخيلها بلا اساتذة . والاعتداء على الاساتذة وضربهم اوطردهم هو اعتداء لا يقل بتاتا فى قيمته او مغزاه عن الاعتداء على القاضى فى المحكمة لكى يحجم عن اصدار حكم او لكى يجبر على اصداره . وهذا الاجتراء هو انتهاك لحرية الثقافة فى مصر كلها والجامعة بخضوعها لهذه السيطرة الغشيمة قد سلمت فى أخص مهماتها وهى حرية الثقافة

ونزيد المشابهة بين المحكمة والجامعة . فان القاضى يجب ان يكون مستقلا فى نظره للقضية ويجب الا تتدخل الحكومة بوعد او وعيد للتأثير فيه . وكذلك الشأن فى استاذ الجامعة يجب أن يترك استقلاله الثقافى حتى يرتأى الرأى فى التاريخ والكيمياء والعلم والاداب — لا بل فى الدين ايضا . ونذكر هنا ان هوكسلى كان استاذا فى اكسفورد . وكثيرا ما القى من منابرها المحاضرات التى تنافى والمسيحية بل تناقضها فلم يجد اية معارضة من الجامعة او تدخلا من الحكومة . والديانة المسيحية هى مع ذلك الديانة الرسمية للدولة البريطانية ولو شئنا ان نحصى الاساتذة الانجليز والامريكيين الذين يصرحون بشكهم فى المسيحية او بالحادهم لما وسعتنا هذه الصفحات

وبعد هذا الذى قلنا يجب ان نعود فنقول اندرامة جان دارك انما يقف فيها المؤلف الى جنب محمد صلى الله عليه وسلم . وهو يجعل جان دارك التى يدافع عن موقفها ويجعل منها رائدة للاصلاح الدينى فى اوربا تتهم بأنها تنزع النزعة الاسلامية ويحكم عليها بالاحراق لهذا السبب . وهو هنا مدافع عن جان دارك وليس مهاجما لها . وكثير مما يقول عنها ينطبق على نبي الاسلام . ولهذا السبب ترجم هذه الدرامة الدكتور احمد زكى بك (المسلم) الى العربية . ونحن ننقل فيما يلى عن هذا المسلم بعض ما قاله برنارد شو على لسان احد قضاة محكمة التفتيش ومنه يرى القارىء ان الفتاة جان دارك تأبى ان يكون القسيس واسطة بين الانسان وربه :



برنارد شو

« المحقق : لو انك رأيت من الزندقة ما رأيت اذن لما استخففت بها ولو صدرت عن أصول هى أبعدما تكون عن مظاهر السوء والريبة ، حتى ولو صدرت عن أصول حيية من التقوى والصلاح . ان الزندقة تظهر أول ما تظهر فى أناس يتراءون فى كل مظهر من مظاهرهم خيراً من جيرانهم : فى فتاة رقيقة صالحة ، أو فى فتى أطاع الله فيما أوصاه ، فخرج للفقراء عن كل ماله ، ولبس رداء الفقر ، وعاش عيشة الزهد ، وأذل من نفسه ، وسخا بما فى يده . فهذه الفتاة أو الفتى قد يحدثنا بدعة ، اذا هى لم تدمغ بلا رحمة فى حينها هزت أركان الكنيسة هزا ، وقوضت

قواعد الامبراطورية تقويضاً . ان سجلات ديوان التحقيق مليئة بقصص لا نجوز أن نحكيها للعالم ، لانها فوق تصديق كل رجل طيب وكل امرأة طاهرة . ومع هـذا فهذه القصص تبدأ أول ما تبدأ كلها بقوم بلهاء ، نيهم طيبة وعليهم قداسة . لقد شاهدت هذا يقع المرة بعد المرة : أنصتوا لما أقول واذكروه . إن المرأة التى لا ترضى عن لباس المرأة فتلبس لباس الرجل مثل الرجل الذى يخلع رداء الفروليليس كما كان يلبس يوحنا المعمدان . كلاهما يجران وراءهما حتما — كما يجر النهار الليل — جماعات من ثائرين وثائرات يرفضون أن يلبسوا لباساً أصلاً . إن الفتيات اذا هن ابين الزواج ورفضن أخذ العهود المعروفة ، والفتيان اذا هم رفضوا الزواج وعمدوا الى شهواتهم فرفعوها فصيروها الهامات ربانية ، فقد بدأوا عهدا يتبعه لامحالة — كما يتبع الصيف الربيع — عهد تتعدد فيه الازواج والزوجات ، يتلوه عهد تستحل فيه مضاجعة المحارم . ان الزندقة تتراءى فى أولها بريئة ، أو فوق ذلك محمودة ، ولكنها تجر فى أعقابها أهوالا فظيعة من خبائث تمجها الطبيعة . فلو أنكم رأيتم الزندقة كما رأيتها تفعل فى الناس أفاعيلها لقام أرحمكم قلباً ينحى باللائمة على الكنيسة أنها تأخذ الزنادقة بمثل هـذه الرحمة التى تأخذهم بها . ان ديوان التحقيق قضى قرنين يناهض صنوفاً من هـذا الجنون الشيطانى . وقد تبين له أن هذا الجنون يبدؤه دائما قوم جهلاء مغرورون ، يعارضون بآرائهم آراء الكنيسة ، وينتحلون لانفسهم تفسير مشيئة الله . على أنى أحذركم أن تقعوا فى الخطأ الذى يقع فيه الناس كثيراء فتحسبوا أن هؤلاء البلهاء كذابون منافقون . فهم يعتقدون صدقا واخلاصا أن وحى شياطينهم وحى من الله . لذلك أسألكم أن تحذروا أن يغلب عليكم ما أودعه الله فى قلوبكم من رحمة . نحن جميعا قوم رحماء ، أو هكذا أرجو أن نكون ، والا فكيف تأتى لكم أن تخصصوا حياتكم لخدمة عيسى الحنون ؟ أيها السادة ، بعد هنيهة تقع عيونكم على بنية صغيرة تقية عفيفة . نعم هى كذلك ، فالاشياء التى يتحدث بها أصدقاؤنا الانجليز لا يدعمها دليل ، بينما الادلة كثيرة على ان غلوها الذى غلت فيه كان غـلوا فى الدين والمكرمات لا فى الدنيا والدنيات . وهى ليست من الفتيات التى تدل خشونة مقاطعهن على جمود قلوبهن . وليست من اللائى تقضى عليهن الصفاقة الظاهرة فى وجوههن والقحة البادية فى سلوكهن ، قبل محاكمتهن . والعجب الذى بثه الشيطان فيها فانساقت به الى الموقف الخطير الذى هى فيه لم يترك أثرا على محياها . وقد تستغربون اذا قلت لكم انه لم يترك أثرا حتى على طباعها

فيما سوى الأمور الخاصة التى تعجب بنفسها فيها . فذلك ستجدون فيها عجبا شيطانياً . وتواضعاً طبيعياً ، قد جلسا من نفسها مجلساً سوياً . فالى هذا فتنبهوا ، ومنه فاحذروا . ومعاذ الله أن ادعوكم إلى تقسية قلوبكم ، فان عقابها — إن نحن قضينا عليها — عقاب غاية فى القسوة يفقدنا الامل فى رحمة الله إن نحن قضينا به وفى قلوبنا ذرة من ضغن عليها . إنكم تكرهون القسوة ، وإن كان منكم رجل لا يكرهها فأنا آمره بأن ينجو بنفسه ويفر من لعنة الله بترك هذه المحكمة المقدسة توا . ولكن إن أنتم كرهتم القسوة فاعلموا أن أقسى القسوات أعقابا تسامح فى زندقة . واذكروا كذلك أن اقسى الحاكم على متهم محكمة الغوغاء من الناس إذا تجمهروا حول من يظنونه زنديقا . أما الزنديق فى محكمة التحقيق فى مأمن من سخط العامة ، وهو ضامن محاكمة عادلة ، وإذا قضى باتهامه فهو لا يموت إذا هو تاب وأناب من بعد ذلك . كم من زنديق نجا بحياته لأن ديوان التحقيق انتشله من أيدى العامة وكم من زنديق نجا بحياته لان الناس أسلموه طواعية إلى ديوان التحقيق لينظر فى امره . وقبل إنشاء الديوان ، وحتى فى هذه الايام فى المناطق البعيدة عن الديوان ، يشتبه المشتبهون فى الرجل فيتهمونه بالزندقة ، وقد يكون اتهاما خاطئاً جاهلا ، فيرجم المسكين بالحجر ، أو يقطع إربا ، او يقتل غرقا ، أو يحرق فى داره هو واولاده حرقا ، دون محاكمة ، ودون اعتراف يطهر نفسه ، ثم هو لا يدفن بعد ذلك إلا كما تدفن الكلاب ، وكل هذه أفعال لها من الله كراهة شديدة ، وللانسان منها قسوة متناهية . أيها السادة إنى رحيم بطبعى ، رحيم بمنصبى . والعمل الذى يفرضه على منصبى قد يظهر قاسيا عند من لا يدرك أن القساوة الكبرى هى فى الواقع فى رفض هذا العمل . إنى أفضل الحرق لنفسى على القيام بهذا العمل ، لولا أنى مقتنع بأن العدل بين فيه ، والضرورة ملحة به ، وأن الرحمة فى جوهره فاصدروا فى هذه القضية إذا ما صدرتم عن مثل هذا الاقتناع . واعلموا أن الغضب بئس الناصح فاطرحوه ، وأن الشفقة قد تذهب بكم مباشرة مما يذهب بكم الغضب ، فأطرحوا الشفقة ولكن لا تطرحوا الرحمة . وغاية الأمر أن تذكروا أن العدالة لها المكان الأول . والآن أعتقد أحدكم يا سادتى اقول قبل أن نستفتح المحاكمة ؟

الدب الابيض



الدب الابيض هو أحد سكان المنطقة القطبية الشمالية وهو يمتاز بفرو أبيض ناصع يتغالى به الفراءون اذ قد يبلغ ثمنه ٥٠٠ جنيه . وهو سباح عظيم يستوى عنده السير على الارض والسباحة فى الماء . يصيد السمك والفقمة ويأكلها . ويقضى بعض الشتاء نائما صائما وهو من حيث الشجاعة فى لقاء الخطر لايقل عن الاسد . وليس فى مصر نوع من الدببة وأقرب حيوان اليها عندنا فى الترتيب البيولوجى هو ابن عرس .

النفسية السياسية في مصر

وماذا يجب أن تكون أهدافها

المستر اتلى هو زعيم حزب العمال في البرلمان البريطاني . وقد كان وزيرا في بعض الوزارات الماضية . وقد ألقى خطبة في مجلس العموم قال فيها أن الاهداف التي يجب أن تسدد اليها السياسة التالية للدولة هي :

أولا — حفظ الصحة عند الشعب وقوة أفراده ومستوى معيشتهم

ثانيا — انتاج الأشياء الجوهرية

ثالثا — ايجاد وسائل الدفاع الضرورية للوطن

وما أحرانا نحن في مصر بأن ندرس هذه الحكمة السياسية التي تجعل الصحة في مقدمة الاهداف السياسة التالية في البلاد . فان لكل أمة طريقتها في درس السياسة ونستطيع أن نقول أن لكل أمة « نفسية سياسية » تعين لها اتجاهاتها وتكسبها مزاجا خاصا في درس مشكلاتها . ونحن نرى مثلا في الوقت الحاضر اختلافا عظيما في النفسية السياسية بين الالمان وبين الروس . وبين هذين الشعبين وبين شعب ديمقراطي مثل الشعب الهولندي أو السويسري . فالسياسة في روسيا عالمية ماركسية . وهي في ألمانيا وطنية حربية . وهي في سويسرا وهولندا بنائية محلية قلما تنحرف نحو الخارج

وكل أمة تحتاج الى تربية سياسية طويلة والى اكتساب اختبارات متوالية في الرقي الاقتصادي والاجتماعي والثقافي حتى تستطيع التمييز بين القيم فلا تنخدع بالقشور دون اللباب . ولا تؤثر فيها خلابة الدعايات وتلويها عن غاياتها المثمرة . والأمة التي تبلغ النضوج السياسي يمكنها أن تبتكر في تعيين القيم الانسانية أو الاجتماعية لنشاطها

ومهما يكن للأمة من ثروة فان ثروتها العظمى فى ابنائها ومقدار الحظ الذى يصيبون من الصحة من الصحة والمهارة والتفكير . ولا عبرة بالأرض الخصبة ولا بالمناجم الغنية ولا بأى شىء آخر مادام أفراد الشعب الذين يعيشون على هذه الأرض وفى وسط هذه المناجم مرضى فى أجسامهم أو فقراء فى عقولهم . وليس هناك منجم هو أعود بالغلة الوافرة والربح العظيم من الشخصية الانسانية اذا استوت فى نهوض الشباب وحصلت على ميزتى الصحة والمهارة

ولنعد الى المستر اتلى . فانه يطلب أن يكون للصحة المحل الأول من العناية المالية فهل نحن على عرفان تام بهذه الحكمة . واذا كان لنا العرفان فهل لنا الوجدان بقيمته ؟

ان الجذام لايكاد يعرف فى اوربا الآن . ونزيد على ذلك بان الاوربيين لايعرفون حمى التيفوس وقليل منهم جدا من يعرف التيفوئيد . ولا يكاد يكون بينهم من يصاب بالعمى من الرمد . كما أنه ليس بينهم من يمرض بالبلاغرة . وكل هذه الامراض للأسف فاشية بيننا وكلها أمراض لا تنشأ إلا من الفاقة الملحة البائنة التى تحول دون الطعام الحسن أو النظافة المتوسطة

فنحن فى حاجة الى نفسية سياسية جديدة مثل هذه النفسية التى جعلت المستر اتلى يقول أن الغاية الاولى من السياسة المالية هى صيانة الصحة والقوة ومستوى المعيشة . وعلينا أننا يجب ألا ننكف عن صك أذهان الشعب بأن خير السياسيين وأشرفهم وأحكمهم واكفأهم هو ذلك الذى يجعل همه الرقى الصحى والمعاشى لافراد الشعب . ولو استقرت فى نفوسنا هـــذه الحكمة لما أعقنا شيئاً فى الكماليات والترف الا بعد أن تأخذ كل الضروريات حظها من الانفاق لان مصريا واحدا يمرض لقلة الطعام أو لقلة النظافة هو فضيحة تلصق بنا جميعا وتدل على أننا أطفال أميون فى فن السياسة

ان لنا ميزانية هى اموال جمعت بشتى الطرق بين المصريين . من المالك الغنى الذى يملك الف او ألفى فدان . ومن رخصة البائع الجوال الذى يقنع بربح ثلاثة قروش فى اليوم . ومن طوابع البريد ورخص المخابز التى تبيع للناس مادة طعامهم . ومن ضرائب جديدة على كسب العامل والموظف والتاجر والصانع . فمن الشرف ان تنفق هذه الاموال على صلاح المصريين وترقية صحتهم وثقافتهم وحمايتهم من العدو الخارجى والعدو الداخلى . ولكن هل الواقع الان ان اموالنا تنفق على هذه السبل ؟ هل المجمع اللغوى الذى انفق عليه الى الان ٣٥ الف جنيه قد افاد الامة اية فائدة ؟ هل

المفوضيات التى تملأ الشرق والغرب قد عادت علينا بفائدة كبيرة مع ان ما انفق عليها يبلغ الملايين من الجنيهات ؟ هل لنا الحق فى ان ننفق من هذه الميزانية ربع مليون جنيه على الحجاز فى حين ان عندنا مصريين من ابناء مصر يموتون من الجوع ؟ وهل يجوز لنا ان نقف انشاء المدارس الابتدائية والثانوية فى مصر وننشىء مدرسة ثانوية فى السودان تكلفنا — نحن الامة الجائعة — خمسين الف جنيه ! وهل يجوز لنا ان ننفق الالف الجنيهات على الفرقة القومية وان تؤوى فى معهد التربية اكثر من خمسين ومائة طالب اجنبى يأكلون ويشربون و ينامون ويتعلمون بالمجان فى حين ان الشباب المصريين ابناء مصر لا يجدون مثل هذه الرعاية من حكومتهم المصرية التى تجمع ميزانيتها من اهلهم وذويهم ؟

واخيرا السنا فى حاجة الى ان ندرس خطبة المستر اتلى الذى يقول ان الاهداف التى يجب ان تعود اليها السياسة المالية للدولة هى اولا ـ حفظ الصحة عند الشعب وقوة افراده ومستوى معيشتهم ؟



الحرب

مضى على الحرب الكبرى اكثر من عشرين عاما ومع ذلك لا تزال الخزانة البريطانية تؤدى فى العام ٤٠ مليون جنيه معاشات، ذوى العاهات الذين جرحوا فى الحرب الكبرى واستحالت جروحهم الى عاهات دائمة . وقد كان هذا المبلغ عقب الحرب ١١٠ مليون جنيه . ولكن ذوى العاهات يموتون ويقل عددهم عاما بعد آخر . ولذلك قلت المعاشات الى اربعين مليونا فى العام

على أنها زادت هذا العام ٧٥٠ معاشا جديدا . ولم تحدث حرب جديدة تدعو الى هذه الزيادة ولكن بعض الجروح استحال بعد مرور عشرين سنة الى عاهة يستحق صاحبها المعاش . ومع كل هذا يجرى الاستعداد لحرب جديدة ويخطب رجال فى مجد الحروب

صياح الديك

غرد الديك صباحا قبل أن أفتح جفنى
ملأ الدنيا صباحا فلماذا لا أغنى

مثله للصبح لحنى

نغمة الديك تحية لسنا اليوم الجديد
حلوة الوقع شجية أيقظتنى من هجودى

كحلت بالنور عينى

ساعة الفجر الجميلة ملأ الصدر انشراحا
هى فى حسن الطفولة فاهجر النوم صباحا

واحمد الله وغنى

غرد الطير سرورا وأنا كالطير أشدو
زادنا الرحمن نورا وله شكر وحمد

من فؤاد مطمئن

لك يارب دعائى فارحم الناس جميعا
أنا فى ظل السماء أعبد الله مطيعا

فاستجب لى واعف عنى

عبد اللطيف النشار

تقدم العلوم والفنون

القلم في السجن

الصيحة العالية هذه الأيام لاصلاح السجون . والعناية بالمسجون تكاد تفوق العناية بغيرهم في الأمم المتمدنة . فان الشاب الذي عاش في انجلترا مثلا ونشأ لم يرتكب هفوة لا يجد من يبحث له عمل . ولكن الخارج من السجن يجد الجميات والأفراد يتلقونه هذا بسلة .. وذلك بنقود . وآخر بكتاب . ورابع يرافقه الى منزله لمساعدته . وجميع هؤلاء يتفقدونه ويبحثون له عن عمل يعيش منه ويراقبونه اذا وقع في الخمر أو غيرها مما يؤدي به الى العودة

وآخر ما قرأنا عن هذا البر الجديد أن نادي القلم في انجلترا اقدم له اقتراح بشأن امداد المسجونين بادوات الكتابة لكي يؤلفوا . واذا لم يكن تاليفهم مفيداً للناس فهو على الاقل مفيـــد لهم اذ يشغل أذهانهم بالابتكار

النحافة

ليست النحافة صحة فقط ، إذ هي الآن الجمال المنشود . وعندما تعاقد احدى الشركات في اخراج درامة سينمائية يشترط على الممثلة أن تحتفظ بوزنها فاذا زاد أي إذا سمنت قليلا الغي العقد ، وامامي قائمة بأسماء عشرين ممثلة امريكية واوزانهن . أثقلهن جوان كروفورد التي تبلغ ١٣٠ رطل وأخفهن كترين هيبورن ووزنها ١٠٨ رطل ، مع أن الاولى تبلغ قامتها ١٦٠ سنتيمتر والثانية الخفيفة تبلغ قامتها ١٧٠ سنتيمتر

والنحافة طبيعية تأتى عفواً مادام الانسان دون الثلاثين . فاذا تجاوز هذه السن فانها تعود مجهوداً ولكنه مجهود جزيل المكافأة إذ أن كثير من أمراض الكهولة يعود الى السمن . بل أن الامراض لا تتفاقم عند النحاف كما تتفاقم عند السمان والنحيف يتحمل العملية الجراحية والحمى اكثر مما يتحملها السمين وهذا الى نشاط النحيف وخمول السمين خطر

بلاغة

للامريكيين طرق جديدة فى التعبير قد تعد بلاغة من طراز ١٩٣٩ وقد سبق أن نقلنا بعضها لاستطرافها . ونحن ننقل بعضا آخر

ديموقراطى كالموت

كانت فى المطبخ تفك أزرار الفول

وكانت الاحياء مشغولة بالربيع

واستولى على الميدان نعاس من التاريخ

وحيانا القطار تحية الوداع بمنديل كبير من الدخان الأبيض

وكانت الحديقة تغلى بالنحل

وبدت عليه ملامح الكبرياء الضعيفة التى ترتسم على الوجه قبيل العطاس

وهو مريض بالتسمم الشكوكى

وكانت حروف المكتاب تنقر بحدة كما تنقر الفرخة الحب

واستحالت رقتها من الشعر الى النثر

كانت كل مرة تنظر اليه تراه بقلبها

وكان الفستان الأبيض من القطيفة معلقا ينتظرها لكى تكسبه الانسياب

وتماست نظراتهما كما يصك شاربان كأسى الخمر

كتاب يقتل الوقت عند اولئك الذين يؤثرون رؤية الوقت ميتا

ماء المطر يحمل عبير الجو الذى سقط منه
وهى مثابرة على الكلام كأنها تريد أن تكون لها الكلمة الاخيرة بعد الصدى
وكان متأخراً حتى لم يقو على أن ينظر الى الساعة وجها لوجه
نظرت الى وجهها أقرأ بين السطور
آه لو كان يمكننا أن نستقطر الايام الحلوة وندخر عطرها فى زجاجة
قيمة كأنها تقويم يحوى تاريخ الايام

منفيس

منفيس هى عاصمة مصر القديمة . والاجانب فى مصر يتذكرون الاسماء الفرعونية اكثر منا . ففى الابراهيمية بالاسكندرية مدرسة أجنبية تسمى مدرسة منفيس . ولا أظن أن مصريا يخطر بباله أن يسمى مدرسة مصرية بهذا الاسم

وقد شاع اسم «ازيس» أو «ايسيس» فى اوربا اكثر مما شاع فى مصر . وفى اكسفورد مجلة يصدرها الطلبة بهذا الاسم . وايسيس هى الربة المصرية القديمة وهى أحد الثالوث أوزوريس وهوروس وايسيس واسم كليوبطره وكذلك اسم نفرتيتى قد سبقنا الاجانب الى استعمالها . وقليل من المصريين من يتسمى بأسماء خوفو أو ستى أو أحمس . ولكن اسم رمسيس شاع كثيرا

دواء جديد

فى أخبار الجرائد أن دواء جديدا وجد لمعالجة الالتهاب السحائى . وهذا الدواء هو واحد من مجموعة سوف يكون لها أكبر الاثر فى المعالجة الحديثة على ما تقول المجلات الطبية . بل أن هذه المجلات تقول أن هذه المجموعه لاتقل فى فوائدها العلاجية عن السلفرسان الذى يوشك أن يقضى على السفلس المرض الزهرى المعروف ويمحوه من العالم

أما هذه المجموعة فترجع الى الابحاث الكيماوية التى يقوم بها الالمان فى الاصباغ وقد أمكن استخراج عقاقير منها تشفى حمى النفاس والالتهاب السحائى والتسمم والنزلة الشعبية . والغريب أن الاهتداء الى هذه العقاقير كان مصادفة لأن الغاية الاصلية كانت البحث عن أصباغ للأقمشة

المخدرات

صدر تقرير المكافحة للمخدرات . وهو مثل التقارير السابقة يشرح المجهود الذى تبذله الحكومة فى هذه المكافحة ويشكو ـ كما يفعل فى كل عام ـ من قلة أعضاء البوليس المختصين بهذه المكافحة . وطرائق الصور هذا العام تزيد على نظائرها فى الاعوام الماضية . فهنا نرى كيف تخبأ المخدرات فى أشياء لا تخطر بالبال ومن أعجب ما يذكره التقرير أن ٤٩٫٥٠٠ محقنة تباع للجمهور أى لغير الاطباء . وهذا العدد كبير جدا اذا اعتبرنا أن سكان المدن هم الذين يتناولون المخدرات وعددهم قليل بالمقارنة الى مجموع السكان وهذه المحاقن قد تستعمل لاغراض أخرى . ولكن ليس شك فى أن الغاية الاصلية منها هى حقن المخدرات

فهل يكون من الاصلح لسلامة العقول أن نفرض قيودا جمركية عالية على المحاقن الواردة أو يمنع الصيدليون من بيعها إلا باذن الطبيب ؟

اتحاد الديمقراطيات

وضع المستر كلارنس ستريت كتابا بالانجليزية عنوانه « الاتحاد هذه الساعة » وهو يدعو فيه الامم الديمقراطية الى أن تتحد . وعنده أن فى العالم نحو ٢٠ أمة ديمقراطية خطيرة اختار منها ١٥ أمة يؤلف منها الاتحاد وهى :

بريطانيا . الولايات المتحدة . فرنسا . بلجيكا . أسوج . هولندا . كندا . استراليا . سويسرا . فنلندا . دنمركا . نروج . أرلندا . اتحاد أفريقيا الجنوبية . زيلاندة الجديدة

وعنده أن هذا الاتحاد يؤدى الى توحيد الدفاع الحربى والرعوية بين السكان والغاء الجمارك وتوحيد النقد ، وتوحيد المواصلات . ثم يتدرج فى الزيادة الى أن يصير منه حكومة عالمية

وهو يرى أنه اذا لم تنشط الامم الديمقراطية الى تحقيق هذا الاتحاد فان العالم مضطر الى أن يتخذ خطة العزلة السياسية وأخطارها معروفة . أو خطة المحالفات التى تشق العالم الحربى فريقين فينتهى الى الحرب أو الرجوع الى عصبة الامم التى لا قوة لها لان كل دولة مشتركة فيها تستطيع بما لها من « سيادة » أن تجعل العصبة عقيمة من ناحية منع الحروب

اخبار اجتماعية

الاقليات في يوغوسلافيا

وجدت المانيا أنها لم تحتج الى حرب لتفكيك تشيكوسلوفاكيا ، لأن الاقليات العديدة في هذه الامة كانت بمثابة الجراثيم في الخميرة . تبدو صغيرة متفرقة ثم لا تلبث أن تطمو في حرارة وقوة . وهذا الذي حدث في هذه الدولة البائدة قد يحدث مثله في يوغوسلافيا وقد تكون الغاية من احتلال ايطاليا تفكيك هذه الدولة وعندئذ نرى أن الفن البارع الذي استعملته المانيا في تشيكوسلوفاكيا قد انتقل الى ايطاليا التي سوف تستعمله في يوغوسلافيا . بل ان هذا الفن يمكن أن يجاد استعماله أكثر مما أجيد في تشيكوسلوفاكيا

فان يوغوسلافيا هي دولة سربيا القديمة ولم تكن هذه الدولة تطل على البحر الادرياتي الذي تزعم ايطاليا انه بحرها وحدها . ولكن الدولة الجديدة أطلت عليه ومن هنا النفور الذي بين الدولتين . ويبلغ سكان يوغوسلافيا نحو ١٤ مليونا . أكثريتهم من السرب، والكروات والسلوفين . وقد كان الكروات خاضعين لامبراطورية النمسا والمجر . وهم من الكاثوليك الذين غمرتهم الحضارة الصناعية الحديثة . في حين أن سائر يوغوسلافيا من الارثوذكس الذين يعتمدون في أكثر عيشهم على الزراعة . ومن هنا نشأ نفور دعا الكروات إلى المطالبة بالاستقلال الذاتي . وكانت مطالبتهم بهذا الحق من الاسباب التي جعلت الملك اسكندر ملك يوغوسلافيا السابق ينقح الدستور ويجعل من ديكتاتورا

وغير هذه الشعوب الثلاثة نجد أقليات أخرى مثل البوسنيين والدلماتيين والالبان والبلغار والرومانيين . وكل هؤلاء يعدون أنفسهم غير مدينين بالولاء لدولة يوغوسلافيا . ولذلك سوف

يكونون أداة فعالة لبعث القلق الذى قد يؤدى فى النهاية إلى مطالبة إيطاليا بالحماية كما طلب السلوفاك — فى دولة تشو كوسلوفاكيا — هذه الحماية من المانيا

المسجون بعد الافراج عنه

قبل اسابيع بحثت اللجنة المؤلفة لتعديل لائحة السجون برياسة وكيل الداخلية حسن فهمى رفعت باشا موضوع المسجونين بعد الافراج عنهم . والذى دعا الى هذا البحث ان كثيرين بل الكثرة الغالبة من هؤلاء المساجين يعودون الى الجريمة لأنهم يجدون ابواب الرزق امامهم مقفلة الا باب الجريمة .والمعروف ان جميع الامم المتمدنة قد اخذت بالعناية بالمساجين سواء فى السجن أم بعد الافراج عنهم . وهذه العناية لانكاد نعرفها فى مصر . وليس اللوم كله على الحكومة فى هذا الاهمال . فأن ما يحصل عليه المسجونون فى أوربا من عناية انما قام به الجمهور متطوعاً للبر . ثم بعد ذلك اشتركت الحكومة فى هذا البر.

وهذا هو ايضا الشأن فى كثير من الوان البر التى نراها فى الامم الاوربية . فان التعليم المجانى انما قامت به الجميات الخيرية فى بريطانيا . . ولم تضطلع الحكومة البريطانية بهذا الواجب الا سنة ١٨٧٠ حين جعلته الزاميا فاحيلت مدارس الجميات عليها . بل كذلك المستشفيات فانها أنشئت بسعى الجمهور وتطوع أفراده بالعمل وتبرع أغنيائه بالمال . ولاتزال المستشفيات الكبرى فى لندن تستجدى الجمهور الى اليوم لانها من صنع هذا الجمهور وهى تعيش بما فى نفوس أفراده من سجايا البر . ولم تأخذ الحكومة البريطانية بانشاء المستشفيات الا حديثا جداً عن طريق المجالس البلدية . ولكن المستشفيات الحرة وكذلك المدارس الحرة أى التى لا تتصل بالحكومة هى التى تفضل سواء فى فخامة البناء أو عدد المنتفعين بها على ما تديره الحكومة من هذه المؤسسات .

بل كذلك تأمين العمال من التعطل والمرض . فانه نشأ تطوعا من بين العمال الذين الفوا النقابات وصاروا يعينون بعضهم بعضا . ولم تقم الحكومة بهذه الخدمة إلا منذ زمن قريب

وهذا هو الشأن فى السجون والمسجونين .فان الابرار من رجال الاصلاح الفوا الجميات وأخوا

فى اصلاح السجون وجعلوا ينتظرون كل مسجون عند الافراج عنه فيتولونه بعنايتهم يبحثون له عن عمل يكسب منه ويعولون اسرته مدة سجنه ويتعهدونه بالزيارات المتوالية لكى لا يعود إلى السقوط واخيراً وفى زمن حديث جدا عرفت الحكومة فضل هذه الجمعيات فجعلت تساعدها بقليل من المال الذى لا يبلغ عشر ما تجمعه هذه الجمعيات من اعضائها او غيرهم بالتبرع

وليس من مصلحة الامة أن تقوم الحكومة بجميع الخدمات الاجتماعية لانها تستحيل بهذا العمل إلى اداة بيروقطية ضخمة . كما ان الامة فى الوقت نفسه تتراخى بل تتعمد هذا العمل فلا يتمتع اعضاؤها بممارسة الخير . ويبدو مما ذكرته الصحف ان الحكومة متنبهة الى ذلك وانها تنوى تأليف لجان من الجمهور تشترك فيها الحكومة لكى تبحث احوال المسجونين عقب الافراج عنهم وتهيىء لهم وسائل العيش الذى يغنيهم عن الاجرام

وهذا حسن . ولكن قبل ذلك نظن ان نظام السوابق يجب ان ينقح بحيث لا تؤدى اثاره الى تعطيل المسجون السابق عن الارتزاق . اما فى حالة الحاضرة فهو يؤدى إلى هذا التعطيل

العراق

عم الحزن جميع افراد الجمهور المصرى لوفاة المرحوم الملك غازى فى السادسة والعشرين من عمره ، وقد كان الاثر الاول لهذه الفاجعة شك مقلق بشأن العلاقات بين وفاته وبين الاضطرابات القريبة الماضية . ولكن اتضح انه ليست هناك اية علاقة وان الوفاة كانت بسبب الاصطدام لا اكثر

ولكن سن الملك الجديد (وهو فى الرابعة من عمره) قد يبعث على الشكوك فى مستقبل الطمأنينة فى العراق . فان الخلافات الحزبية هناك عنيفة ولذلك يخشى ان تؤدى الى اضطرابات ولكن حكمة العراقيين سوف تلهمها الرشاد



أخبار اقتصادية

صرخة الصناعيين المصريين

نظرت اللجنة المالية فى مجلس الشيوخ فى ميزانية وزارة التجارة والصناعة فابدت ملاحظاتها عليها وضمنتها المقترحات التالية :

١ ـ التعجيل بانشاء بنك التسليف الصناعى

٢ ـ مساهمة الحكومة فى انشاء الشركات

٣ حماية المشروعات الجديدة من المزاحمة

٤ ـ الاكثار من اقامة المعارض السنوية العامة

٥ ـ مضاعفة العناية بالمصايف المصرية

٦ ـ تشجيع السياحة باصلاح المشاتى

وقد وضعت اللجنة هذه المقترحات وهى بالطبع متأثرة بالانخفاض المؤلم فى أثمان القطن وبالخطر الذى نستهدف له جميعاً باعتمادنا على محصول يكفى فى خفض ثمنه خمسين قرشاً أو جنيها كاملا أن يفوه رئيس حكومة من الحكومات باقتراح أو تنتهى احدى الحكومات الى قرار .

وجميع هذه الاقتراحات الستة تستحق الثناء ، فان الصناعة المصرية يجب أن تلقى التأييد من الحكومة والامة . والامة لم تتأخر فى التأييد فانها تعد الاقبال على المصنوعات المصرية بعض الواجبات الوطنية وهى تتحمس لكل مشروع جديد . ولا بد أن جميع الصناعيين فى مصر سيطربون لهذه المقترحات وعليهم أن يلحوا على وزارة التجارة والصناعة بوضعها موضع الدرس ثم التنفيذ العاجل وللصناعيين فى مصر شكاوى تكررت وتوضحت . ولكنهم الى الان لم يجدوا من ينصفهم فيها

مع ان انصافهم هو انصاف للثروة الوطنية باستغلالها وانصاف للعمال والشبان باستخدامهم . ومن العجيب أن هذه الشكاوى اوضحت وتكررت كما قلنا — في مدى السنين العشر أو العشرين الماضية بلا جدوى . وإزاء التكاليف الجديدة التي يطالبنا بها الاستقلال والدفاع والاصلاح ، وكذلك ازاء الانخفاض المروع في اثمان القطن وحيرتنا التي تقارب اليأس في تجديد الزراعة المصرية ، نظن انه يجب على الحكومة ان تلتفت الى الصناعات المصرية الناشئة التفات الرعاية والحماية وان تسارع الى ذلك . اذ هي بهذا العمل تخدم نفسها بزيادة مواردها بما سوف تفرضه من رسوم كما تخدم الامة بزيادة الرخاء .

وجميع هذه المقترحات التي قدمتها اللجنة المالية في مجلس الشيوخ هي مقترحات ايجابية ولكن الصناعيين المصريين يشكون مر الشكوى من الحال القائمة ويطلبون الاصلاحات السلبية أي رفع الضرر عنهم وازالة العراقيل التي تؤخر رقي الصناعة في مصر . وبين يدينا مجلة مصر الصناعية التي يصدرها الاتحاد الصناعي وهو مؤلف من كبار المشتغلين بالصناعة المصرية وهو مفتتح بمقال هو صرخة الصناعيين من عثرات العراقيل القائمة أمامهم

١ — ففي كل أمة صناعية يجاز دخول المواد الخامة التي تستخدمها المصانع بلا مكوس على هذه المواد الا في مصر . حتى لقد بلغت الحال ان اشترت وزارة الاوقاف أسرة من الحديد من اوربا مع أن مثلها يصنع في مصر . ولكن لان الحديد لا يدخل مصر الا بعد أن يؤخذ عليه مكس لم تستطع معه المصانع المصرية ان تزاحم المصانع الاوربية

٢ — المألوف ان الآلات الجديدة تدخل بلا مكس . ولكنها في مصر يفرض عليها مكس جمركي

٣ — في أمة مبتدئة بالصناعة لا يمكن بأية حال أن يطالب الصناعيون بشروط هندسية وصحية تستوى وما يجرى في أمة متقدمة مضى عليها ٢٠٠ سنة في الصناعة . ولكن هذا هو القائم الآن في مصر فان مئات من المصانع تقفل بحجة أن الشروط الصحية والهندسية غير مستوفاة

هذا هو بعض ما يشكو الصناعيون في مصر . وقد تكررت الشكاوى فنبه المسئولين عن الضرر البالغ الذي يعود على الامة كلها بتأخير الحركة الصناعية في مصر .

واذا كان هؤلاء المسئولون يعتقدون أن المصنع يجب أن يكون صحيا فليس معنى هذا أن يكون من الطراز الاول فى الصحة كما هو الشأن فى برلين أو لندن . لان العامل الذى يعمل فيه لا يعيش فى مثل المنزل الذى يعيش فيه العامل فى برلين أو لندن . واقفال مصنع يؤدى فى كل حال الى افشاء التعطل. والتعطل فى مصر يعنى الجوع لا أكثر ولا أقل وليس عندنا أى نظام لتعويض التعطل فاقفال المصنع فى مصر لا يعد رحمة بالعامل بل قسوة

فاذا زدنا على هذا أن الشركة المساهمة فى مصر لا يمكن أن تنشأ إلا اذا كان ثمن السهم على الاقل فيها أربعة جنيهات (مع أنه فى انجلترا بضعة شلنات) عرفنا أن للصناعيين كل الحق فى صرختهم الحاضرة

البذرة

انخفض ثمن بذرة القطن انخفاضاً ليس له نظير فى السنين العشرين الماضية اذ بلغ الاردب ٥٣ قرشاً . وقد ينخفض اكثر جريا وراء الانخفاض الذى وقع فيه القطن المصرى على أثر القول باخراج المخزون الامريكى

وبذرة القطن تصدر كلها تقريباً . إلا القليل الذى يعصر لاستخراج الزيت ومزارعونا يهملون البذرة وكسبها . مع أنها من أعلى أصناف العلف . ومع الانخفاض الحاضر نظن أن وزارة الزراعة تحسن اذا هى قامت بالدعاية بين المزارعين لكى يقبلوا على شراء البذرة وكسبها معا فان الانجليز والالمان يكافون أنفسهم شراءها ومشقة نقلها الى بلادهم ويعلفون بها ماشيتهم ويكسبون من ذلك. فماذا يمنعنا أن نفعل فعلهم بأقل من تكاليفهم ؟



كتب الشهر الجديدة

١ ـ الاسلام والدول الاسلامية فى الهند للاستاذ محمد عبد المجيد العبد

٢ ـ براكسا : درامة للاستاذ توفيق الحكيم

٣ ـ اعترافات فتى العصر تأليف دوموسيه وترجمة الاستاذ فيلكس فارس

٤ ـ الجوع : تأليف كنوت هامسون وترجمة الاستاذ محمود حسنى

٥ قصص مصرية للاستاذ محمود تيمور مترجمه الى الفرنسية

٦ ـ عصبة الامم

* * *

أول هذه الكتب هو تاريخ موجز عن الاسلام والملوك المسلمين فى الهند . والمؤلف راوية اكثر منه مؤرخا . فانه يذكر الملوك المسلمين وحروبهم وفتوحاتهم ولكننا لانستنير عن شئون المسلمين باعتبارهم شعبا أو شعوبا يخضعون لعوامل اقتصادية ويحتكون بانظمة اجتماعية. ولعل الوقت لم يئن لمثل هذا الدرس . وعلى كل حال فنحن فى حاجة الى مثل هذا الكتاب الذى يعالج موضوعالم يعالجه كتاب عربى حديث . ويرجع تاريخ الاسلام فى الهند الى ايام الحجاج ذلك السياسى العظيم الذى كان ينظر النظرة الامبراطورية للدولة الاموية . فانه انفذ محمد بن القاسم فى جيش صغيرفغزا السند بجيش عربى . ومن ذلك الوقت توالت الغزوات الاسلامية على الهند . ولكن الهند لم تشعر بقوة هذه الغزوات الافى بداية القرن الحادى عشرحين غزاها السلطان محمود غزنوى بجيش تركى او تركستانى او افغانى وقد كانت عاصمة غزنة كعبة العلماء والادباء زاره فيها الفارابى والفردوسى.

وغيرهما ولكن حكم الاتراك او الافغان للهند لم يكن ثابتا . وانما ثبت الاسلام فى الهند على ايدى المغول ورسخ منذ ان تولى السلطان اكبر الذى حكم بين سنة ١٥٥٦ و ١٦٠٥ واكبر هو سليل اولئك المغول الذين اجتاحوا الدول الاسلامية فى القرن الثانى عشر ثم انتصر عليهم الاسلام فاعتنقوه وتفرقوا امارات وممالك وتحضروا بحضارة الاسلام وحضارة ايران فكان دينهم الاسلام ولغتهم وادابهم فارسية . وقد نقلوا كل هذا الى الهند . واكبر هذا من الشخصيات النادرة فى التاريخ . فانه يجمع بين حكمة الاسكندر المقدونى وشجاعته وبين توحش تيمورلنك . والهندوكيين — قبل المسلمين — يذكرون حكمه بالثناء للعدل الذى التزمه . وهنا يقول المؤلف

« انطريقة الحكم الجديدة التى اتبعها اكبر كان من مقتضاها ان تزيل عداوة الكثيرين من الهندوكيين بل وتجذب اليه حب بعضهم . فانه حين ولى الامر بنفسه لم تكن سياسته ان يصير حاكما يحكم بقوة المسلمين بل كان يرمى الى ان يصير حاكما هنديا يحكم لمصلحة الهند . فهو بذلك يحكم الكل ويعمل لمصلحة الكل . فلا تمييز بين هندوكى ومسلم . ولا امتياز لمغولى على افغانى . بل الكل سواء »

ولكن اكبر لم يكتف بالمساواة . بل عمد الى فكرة تدعو الى استغرابنا . ذلك انه على ما يقول المؤلف . « عقد مؤتمرا من رجال الاديان واختار له مكانا وسماه بيت الحكمة . ثم ابدى لهم رغبته فى ايجاد دين جديد يجمع كل الطوائف وسماه دين الله . واستمد تعاليم هذا الدين الجديد من كل الاديان ومنها الهندوكية . والاسلام . والمسيحية . واراد من وراء هذه الفكرة ازالة الفوارق الدينية ومايترتب عليها من اسباب الشقاء بين الطوائف والطبقات »

وهو بالطبع — كما نتوقع — لم ينجح فى هذه الفكرة . ولكنه نجح فى اشياء اخرى . منها انه منع احراق الارملة اذا مات زوجها . ومنع زواج الاطفال . وأباح زواج الارملة .

واشترط لصحة الزواج ضرورة الرضى والقبول من الزوج والزوجة ، وحرم التحقيق بواسطة التعذيب ولكنه مع هذه الاصلاحات قد اثبت انه سليل تيمورلنك فانه « كان احيانا وقت غضبه ربما امر ان يرمى خادم من اعلى البناء اذا هفا هفوة وربما قتل الفا او الفين من الاسرى واقام من جماجمهم اهراما » هذا واحد من ملوك المسلمين فى الهند وهو اكبرهم واشهرهم بل هو يعد من اعظم الملوك فى العالم سواء اعتبرناه فذا او شاذا

* * *

«براكسا» هي درامة جعل الاستاذ توفيق الحكيم مسرحها فى أثينا قبل الميلاد بنحو ٣٠٠ سنة أو ٤٠٠ سنة. ولكن مع بعد الزمان والمكان فان «الكلام لك ولكن اسمعى ياجارة» وقد قرأت وسمعت ولكن لم أقتنع

وقد قال المؤلف انه كتب هذه القصة على أساس كوميديا قديمة لارستوفان. ثم يقول:

«على انى احب لكل قارىء مدقق أو ناقد محقق ان يراجع الاصل الذى كتبه ارستوفان قبل أن يطالع هذا الكتاب. فان هذه المراجعة ستظهره على كثير من خصائص الاساليب. ذلك ان مجرد الاشتراك مع ارستوفان فى قصة واحدة قد كشف لعينى مالم تكشفه تجاريب خمس عشرة قصة تمثيلية كتبتها. وعلمنى مالم اعلم من أسرار هذا الفن العسير واطلعنى على صفات وعيوب لم يكن ادراكها من اليسير. وبعد فانى التمس العذر فى القصور. فمن ذا يقيس قامته بقامة ارستوفان»

ونحن نجد سيدة جميلة تدعى براكسا تجمع النساء وتطلب اليهن ان يحتلن حتى يأخذن مقاليد الحكم من الرجال. ثم يحكمن النساء بالعدل. ويلتجئن الى يحتفن الى والمعبود ثم يقصدن الى المجلس فيقررن نزع الحكومة من ايدى الرجال وتسليمها للنساء. ويتم هذا، وتحكم النساء اثينا حكما لايمتاز من حكم الرجال. وحيوية الحوار على المسرح يقوم بها ثلاثة اشخاص امرأة وجندى فيلسوف وبذلك يتصل الاهتمام والانتظار. ولكن الدرامة قصيرة لايحتاج قارئها الى اكثر من ثلث ساعة. وكان يمكن المؤلف ان يتوسع ويتعمق

* * *

«اعترافات فتى العصر» هو قصة لالفريد دوموسيه. وضعها قبل نحو مائة سنة. والمؤلف واحد من أولئك الشعراء البارزين فى الحركة الرومانتية الفرنسية فى القرن التاسع عشر مثل لامارتين وفكتور هيجو. وجميع دعاة هذه الحركة يجدون قراءهم فى اللغة العربية فى العصر الحاضر حيث يعلو القلب على العقل وحيث تصدمنا الحقائق فنتعلق بالخيال. ولسنا فى ذلك مبطلين بل نحن محقون كل الحق.

لأن ما نرسمه فى هذا الخيال نعود فننقله الى الحقائق الواقعة . ولكن بعد فترة من الاختمار

ويقول المترجم الاستاذ فيلكس فارس فى المقدمة : « ان شبيبتنا اليوم تعانى داء روح الغرب فى أوائل القرن التاسع عشر . وهو لم يزل يتموض فى أساس مجتمعاته غير انه استحال هناك الى علة مزمنة أدمنها الشعور . ومامن علة اقتل للفرد والمجتمع من علة لاتؤلم ضحاياها ...

«ويقيني ان كل فتى يقذف به تيار التقاليد الى هذه الحياة التى يصفها موسيه فى اعترافاته تجتاحه من صراع الحقيقة مع الباطل فى أعماق سريرته . لذلك أكملت نقل الاعترافات الى العربية لأهديها الى الشبيبة الحائرة المتألمة فى اوطانى شهادة على المدنية الزائفة التى تراود حياتهم وتغالبها فطرتهم شهادة حق يؤديها للتاريخ شاعر تسامى بإلهامه فوق إلحاد فولتير ويأس جوتيه وشكوك بيرون »

ولست اعتقد أن شبيبتنا يخشى عليها مما يخشى المترجم . ولذلك فان القيمة الفلسفية التى قصد اليها المؤلف هى عندى دون القيمة الفنية . فان القصة ضرب من الخيال الجميل الذى يستهوى القارىء أو القارئة فى سن الشباب ويتسامى بهما الى أفق من الانسانية والعطف والرحمة نحن فى أمس الحاجة اليها وخاصة فى النزعات الفكرية الحاضرة .

كنوت هامسون كاتب نروجى له شهرة ادبية . وقصة الجوع التى نقلها عنه الاستاذ حسنى العرابى (من المانية) تصف بؤس المؤلف فى ايامه الاولى حين كان يكافح الفقر ويحاول الظهور فلا يجد من يلتفت اليه . فهى فى الحقيقة ترجمة فنية لكفاح كاتب يغالب الظروف حتى يغلبها

ونروج قطر بعيد عنا ليس بالمسافة فقط بل بالمزاج والمناخ . فان برودة المناخ قد أثمرت برودة المزاج فلا حماسة ولا هياج . والمؤلف ينساب فى غير عجلة وبلا تحنن يصف الواقع المؤلم كأنه طبيب يشرح الجثة بعد الوفاة .

ومن الحسن ونحن أمة شرقية نعيش فى مناخ البحر المتوسط أن نعرف ما يختبىء فى زوايا ذهن أديب نروجى من أولئك الشماليين الذين ينفرون من الخيال . وهذه القصة هى النقيض لاعترافات فتى العصر لالفريد دوموسيه . فهنا خيال وتحنن واشتهاء الى الايمان وهناك حقائق مؤلمة ومثابرة على مجابهتها واشتهاء الى الطعام . فان بطل القصة وهو المؤلف ينشد عملا فلا يجده أو يجد منه القليل

الذى لا يمسك رمقه . وهو يقص علينا مصادفاته . وهنا واحدة منها . « الساعة الثالثة الآن وقد ابتدأت وطأة الجوع تشتد الى حدما . وخارت قواى . فسرت خلسة هنا وهناك . ثم انعطفت الى ناحية مطعم وأخذت أقرأ (من النافذة) قائمة الطعام . وعززت منكبى لكى ألفت الى النظر . كأن اللحم القديد ليس بالطعام الذى يليق بى ثم أخذت طريقى الى المحطة .

« وسرى دفعة واحدة دوار عجيب فى رأسى . فاستأنفت السير . واردت الاعيره شيئا من الاهتمام . ولكن الحال ازدادت سوءا على سوء . فاضطررت فى النهاية الى الجلوس على احدى درجات السلم . وحدث انقلاب فى أعصابى . فكنت أحس كأن شيئا قد انسل الى أعماق قلبى . أو كأن ستارا أو نسيجا فى محى قد تمزق أو انشطر شطرين فتنفست بضعة انفاس وبقيت جالسا مبهوتا . ولكنى لم أفقد صوابى . فقد كنت أحس فى جلاء كيف كانت أذنى أمس تؤلمنى بعض الألم كما أنى استعرفت فى الحال على أحد معارفى بمجرد مروره بى ونهضت واقفا وحييته

« ويا ليت شعرى : اى احساس جديد مؤلم هذا الذى جاء ضغثا على أباله ؟ ترى أهو نتيجة لنومى على الارض بالعراء . ام نشأ عن عدم حصولى على طعام الفطور بعد ؟ الواقع ان الحياة على مثل هذه الحال سخافة . وانى لا استطيع أن أتصور ما استحق عليه كل هذه الالام المصبوبة على . وخطر فى ذهنى فجأة ان انقلب شريرا »

ينقلب شريرا أى مجرما من الجوع . فيخطر له أن يبيع ملحفته لكى يأكل بثمنها . ولكنه ينتصر على هذا الخاطر . ويغمره السرور لانه على الرغم من الام الجوع لا يزال رجلا شريفا

ولكن القصة ليست كلها سوداء حالكة . فان فيها فترات يشع فيها النور وتبتسم له الدنيا . ولكنها فى مجموعها كفاح مؤلم

* * *

والكتاب الاخير هو قصة للأستاذ محمد تيمور باللغة الفرنسية نشرت تحت عنوان

Les Amour De Samy

يلى ذلك عشر قصص كل قصة منها تتناول موضوعا مصريا فى الريف أو المدينة . وأنه لما يسر كل مصرى أن تنقل مؤلفات الادباء المصريين الى اللغة الفرنسية وأن يعرف جمهور القراء فى عاصمة النور

أن مصر المعاصرة تستحق الالتفات بمقدار ما تستحقه مصر القديمة . فان ٩٩ في المئة مما يكتب عن مصر انما يتناول عصور الفراعنة وهذا بالطبع لطرافة التاريخ القديم ولألاء الاثار الفرعونية القديمة . ومع افتخارنا بالاسلاف فاننا نشعر ببعض الهوان لان نكون نحن موضع الاهمال وهم موضع الاحتفال . ومحمود تيمور خير من يمثل مصر الحديثة للقارىء الاوربي . فان مهارته في نقل الجو المصري لاتنكر وهو من آن لآخر يحيي لنا أخلاق الاغوات الذين انقرضوا أو كادوا من القاهرة أو من هم في سابل الاغوات من بقايا الجيل الاسبق . كما أنه حين يرسم لنا صورة سيكلوجية لبعض الاثار التي تخلفها الحوادث في الاشخاص ينقل الينا حركات العواطف واختلاج النفوس بما نحسه في أنفسنا . فاذا كنا نهنىء الاستاذ المؤلف بالتقدير الذي وجده في فرنسا فاننا أيضا لنغتبط لان يعنى الفرنسيون بمؤلفينا

• • •

نشرت سكرتيرية العصبة هذه الايام نسخة عربية في ٢٧٤ صفحة لكتابها المعروف باسم « غايات العصبة ووسائلها وأعمالها » ولم ينشر هذا الكتاب من قبل الا باللغتين الانجليزية والفرنسية . وقد أظهرت العصبة بهذا العمل تقديرها العظيم للدولة التي تنالها اللغة العربية يوما بعد يوم في ميدان الثقافة والسياسة .

وكان الدافع على نشر هذا الكتاب باللغة العربية كثرة الطلبات التي أبداها عدد عظيم من الجماعات الدولية لكتاب عربي يتناول اعمال العصبة ويقبل الناس على قراءته اقبالا كبيرا . وقد ظهرت الطبعة الاولى باللغة الافرنجية في سنة ١٩٣٥ وكانت موضوعة في أسلوب سهل واضح . ولاقى الكتاب نجاحا كبيرا في انحاء العالم باللغتين الانجليزية والفرنسية فكان هذا النجاح حافزا الى اعادة طبعه عدة مرات . والكتاب في هذه الطبعة الحديثة المنقحة مقسم الى أربعة أقسام:

القسم الاول — وقد خصص للشئون التي يهتم بها الرأي العام مثل النظام الدولي قبل وجود العصبة ومثل نظام العصبة وغاياتها ووسائلها . القسم الثاني — ويصف أعمال العصبة سياسية وفنية . القسم الثالث — ويتناول أعمال محكمة العدل الدولية الدائمة في لاهاي (وهي المحكمة التي أنشأتها العصبة) وأعمال مكتب العمل الدولي . القسم الرابع — ويتضمن النص الكامل لميثاق العصبة :

صحتك من طعامك

لمؤلفه الاستاذ ابراهيم كامل البرديسي وهو يشرح تلك المعارف الجديدة التي تتعلق بالصحة من حيث الاعتماد على ما يجب ان يكون في الجسم من املاح او فيتامانات .

والمؤلف يعزو الى مكفادن زعيم الثقافة الجسمية في الولايات المتحدة . وهذه الثقافة قد انتهت الى ان الجسم النحيف خير من الجسم السمين . والى أن الاطعمة الساذجة التي تحتوي الكثير من الفواكه والخضراوات الطازجة خير من الاطعمة التي اجيد طبخها وتأنق طهاتها في توبلتها . والى ذلك تضاف ضرورة العناية بالرياضة البدنية . وحسن ان نكثر بيننا مثل هذه الاراء فان مطبخنا كثير الدسم . وقد تفشى بيننا المرض السكري وترهلت اجسامنا لهذا السبب . وقد دعانا الدكتور جورجي صبحي بك الى الا نخزن السمن في بيوتنا ولكنا لا نستمع له . وقد رأت الحكومة ان تنشيء مستشفيات خاصة للمرضى بالسكري . وهذا كله يدعونا الى قراءة هذا الكتاب الذي يعلمنا كيف نأكل لنعيش في سلامة الجسم وصحة الذهن

واليك ما يقوله تحت عنوان «التغذية وكرات الدم الحمراء»

أن المواد النشوية والسكرية يجب أن تكون قوام غذاء الرياضيين العاملين لان هذه المواد هي التي تحدث الحرارة والنشاط اللازمين للحركة العضلية أما المواد البروتينية أو بعبارة أخرى الزلالية ، ونخص بالذكر منها اللحم فقيمتها الغذائية للرياضيين وغير الرياضيين ضئيلة جدا بخلاف ما يعتقدون يضاف إلى ذلك أن الافراط في تناولها يؤدي إلى كثير من الامراض

ننتقل بعد ذلك إلى عامل آخر مهم في تغذية الرياضيين وهو توافر كمية الحديد في الدم ومعلوم ان كرات الدم الحمراء هي التي تحتوي الحديد أو بمعنى أوضح الهيموجلوبين في كرات الدم الحمراء هو الذي يحتوي مادة الحديد وهذه المادة هي التي تنقل الاوكسجين من الرئتين إلى جميع الخلايا في وجاء الجسم

وقد أثبت الاستاذ (برون) أن الحركة العضلية إذا طال امدهـا تستهلك جانبا كبيرا من كرات الدم الحمراء لذلك وجب على الرياضيين أن يتناولوا من الاطعمة ما يمدهم بمادة تكوين تلك الكرات وتلك المادة هي الحديد ويتوافر الحديد في الخضراوات وتخص بالذكر منها الخص (والسبانخ) والكرنب والطماطم كذلك تتوافر في أنواع البقول كالفول والبسلة كما تتوافر أيضا في بعض اللحوم كالكلى والكبد

وقد حدث في الالعاب الاولمبية سنة ١٩٢٤ أن الفائز في سباق مارتون وهو مسافة ٣٦ ميلا كان رجلا في الاربعين من عمره وصل إلى نهاية السباق وهو في كامل قواه ولم تفارقه الابتسامة بينا لم يصل منافسوه من شبان الانجليز والفرنسيين والامريكيين بعده إلا بمدة طويلة وهم في درجة الاعياء وكانت حالة بعضهم تستدعي الاسعاف وبعد أن تساءل الناس عن السر في نجاح هذا الرجل واحتفاظه بقوته بعد هذا المجهود اتضح لهم أن طعامه كان مكونا في معظمه من الخضراوات ومنتجات الألبان وكان يتناول الجبن مع كل وجبة من غذائه اليومي ويتناول الخبز الاسمر بدلا من الخبز الابيض ولا يتناول من اللحم طعاما قط

أحدث الطرق في تفصيل وخياطة الملابس

هذا كتاب فني . ولكن فنه يجب أن تعرفه جميع ربات البيوت . فان هناك كثيرا من الثقافة المنزلية التي تجهلها نساؤنا . وقد أشرنا الى أن المطبخ المصري الذي تشرف عليه سيداتنا يصيبنا بالامراض لوفرة ما في الطعام الذي يطهى فيه من دسم . والآن نقول ان السيدة الاوروبية تستطيع أن تخيط كثيرا من الملابس لنفسها ولأولادها بلا حاجة الى الخياطة المحترفة . ولست أعني أن هذا الكتاب سيغني سيدة أو آنسة عن الخياطات المحترفات . فان تفصيل الملابس من الفنون الجميلة الدقيقة التي تحتاج الى مواهب وكفاءات ليست من حظ الجميع . ولكن هناك من التفصيل ما يجب أن تعرف كل آنسة أو سيدة بسائطه ومألوفه . ولذلك تستحق المؤلفتان الآنستان الهام عبد الفتاح وعائشة محمد صبري كل ثناء لاخراجهما هذا الكتاب الذي يجب أن يحتل مكانا حسنا في مكتبة البيت

حبر	INK
اسود	BLACK
حزن	MOURNING
صباح	MORNING

٣— او باضافة ارتباط جديد فتصبح

حبر	INK
اسود	BLACK
ليل	NIGHT
صباح	MORNING

وفى كلتا الحالتين تكون ارتباطات كلة « مورننج » (بمعنى الصباح) مختلفة كل الاختلاف عن ارتباطات كلة « موورننج » (بمعنى الحزن او الحداد) ، وبهذا لا يمكن استحضار الكلمات الباقية الى الوعى ، فنحن اذن قد فصلناها ، فضغطت .

وكل مجموعة من الآراء المضغوطة يطلق عليها اسم « المركب »

وقد تنتهى بعض الدرجات القصوى من الانفصال الى احداث الحالة التى تسمى « الشخصية المزدوجة » فيبدو الشخص الواحد كانه يحيا حياتين مختلفتين كل الاختلاف ، لكل منها خصائصها وذكرياتها التى تختلف عن الاخرى . ومن الامثلة المعروفة لهذه الحالة قصة ستيفنسن الشهيرة « الدكتور جيكل والمستر هايد » . ويعلل اختلاف الصفات فى هذه الحالات بان الارادة الواعية تكون هى المتسلطة فى احدى الشخصيتين بينما تكون الارادة غير الواعية هى المتسلطة فى الاخرى (يلاحظ هنا ان الارادة الواعية فى اساسها انانية . تسعى وراء مصلحتها وتحاول جهدها ان تحمى صاحبها من المكاره) .

غير ان للعقل غير الواعى (العقل الباطن) وظيفة اخرى غير اختزان الذكريات ، وترتيبها او ضغطها . فقد رأينا فى الامثلة السالفة ان الذكريات لم تضغط دون وعى وحسب ، بل أن هذه

العملية غير الواعية تضمنت ايضا عوامل الارادة والذهن والرغبة والانفعال . فالعقل الباطن فضلا عن ممارسته هذه الوظائف يستطيع اذن ان يعمل فى بعض النواحى بكفاءة اكثر من العقل الواعى : يستطيع ان يفكر بتعقل reason ، ويستطيع ان يضبط الى حد ما الوظائف الفسيولوجية للجسم ، وان يقوم بالافعال الاتوماتيكية المعقدة التى نسميها « عادات » ، بل يستطيع ان يسجل الى حد ما افكار الغير « بحاسة سادسة » لانعرف كثيرا عنها حتى الان . وهى التى نسميها التليباثية

وقد ذكرنا من الامثلة على تقدير العقل الباطن قصة طبيب الامتياز الذى نسى ان يطفىء نور غرفته ، ولكن هذا التفكير برغم مافيه من التحايل لم يصل الى مستوى عال . واخبرنى صديق لى انه حاول اياما متعددة ان يحل مسألة صعبة فى الشطرنج دون جدوى ، وفى ذات يوم صحا وفى ذهنه صورة مضبوطة للحل المطلوب مع كل التنقلات اللازمة . فعقله الباطن قد استطاع ان يحل هذه المسألة فى اثناء النوم ، دون ان يذكر عند يقظته انه بذل اى مجهود واع للوصول الى هذا الحل . واذكر من تجارب الصبى انى لم استطع حل مسألة حسابية فى احد الامتحانات . وفى صباح اليوم التالى بينما كنت لا ازال فى الفراش مر الحل بعقلى فى مثل لمح البرق ، ولست استطيع الجزم تماما هل وصلت الى هذا الحل فى اثناء النوم أو اليقظة ولكنى استطيع الجزم تماما بانى لم ابذل أى جهد واع فى التفكير ، وكل ماحدث أن عقلى كان يطوف بكسل وخمول حول فشل الامس ، وفجأة رأيت الحل الصحيح يظهر امامى دون جهد . ولا ريب فى أن كل قارىء قد صادف فى حياته امثلة فى التفكير غير الواعى على هذا النحو .

ومن الامثلة على ضبط العقل غير الواعى للوظائف الجسدية ان لعابنا يجرى عندما نشاهد أحد الناس يمتص ليمونة . فالايحاء — سواء اكان بالاستهواء أم بدونه — يمكن أن يزيد بعض الوظائف الفسيولوجية او يعطلها ، وقد اعطيت وانا طالب احد زملائى — وكان يشكو من امساك شديد — حبتين من لباب الخبز مؤكدا له انها مسهل قوى جدا فاخذها شاكرا ، وبعد ذلك احس بمغص شديد واسهال . ومما اذكره ان صديق هذا كان سهل الاستهواء وسريع القبول للايحاء ، ولكن هذا لايمنع من التقرير بان عقله الباطن هو الذى ضبط النشاط الفسيولوجى لامعائه ، دون ان يبذل فى ذلك اى تفكير واع آخر . وكثير من حالات الشفاء العجيب بادوية لاتأثير فعال لها انما يحدث على هذه

النحو . وسأذكر فيما يلي مثالا او مثالين لوظائف العقل الباطن المختلفة ، لانى اريد ان ألم فى هـذا الباب الماما موجزاً بمدى هذا العقل ، ومدى ما تصل اليه قوته فيسهل علينا فيما بعد ان نفهم كيف تحدث الامراض العصبية والامراض العصبية النفسية المختلفة .

فاذا انتقلنا الى بحث تلك الافعال المعقدة ، وفى جملتهـا تلك التى تنطوى تحت اسم العادات فحسبنا أن نشير الى مثال مألوف هو العزف على البيانو . فان العازف يقرأ نوتة الموسيقى الموضوعة امامه ويدركها بعقله الواعى ، ولـكن ترجمة هـذه القراءة فى مخه ثم ظهور اثرها فى حركة اصابعه : كل هـذا يقتضى سلسلة من الحركات المعقدة التى تتم بسرعة هائلة عن طريق العقل غير الواعى . فالعازف لا ينظر الى مفاتيح البيانو ولا يفكر لنفسه قائلا « بأى اصبع العب هذه النغمة او تلك ؟ » وانما يقوم بكل هذه الاعمال عن طريق العقل الباطن .

وقد ذكرنا مسألة انتقال الفكر أو التليباثية باعتبارها احدى وظائف العقل الباطن ، لا لأننا نعدها ذات أهمية كبيرة ولـكن لان فرويد واتباعه ينكرون وجودها البتة . وسنرى عند تقسيم الاحلام كيف انها تحلل لنا بعض الظواهر التى لا يستطيعون ان يحللوها تحليلا معقولا

ومن حسن الحظ انى صديقا لك قوة تليباثية كبيرة وقد اتيحت لى الفرصة مرارا ان اشهد قدرته فاصبحنا ننظر اليها الآن كأنها شيء عادى مألوف . ولـكن هذا لا ينبغى ان ينسينا اهميتها ودلالتها .

وفى كل الامثلة التى ذكرناها نلاحظ ان فى عقلنا الواعى ، كما فى العقل غير الواعى لاسلافنا البعيدين حتى نصل الى ابسط انواع الحياة — تلعب غريزتان اساسيتان على الدوام هما غريزة حفظ الذات وغريزة حفظ النوع . ويمكننا ان نرى هاتين الغريزتين فى كل طفل منذ اول سنى حياته حتى يتقدم به العمر . وحتى اتقى الناس عقلا ، اولئك الذين لا يلتفتون لحظة الى التفـكير فى الامور الجنسية ، والقديسون الذين يستطيبون الاستشهاد يملكون هاتين الغريزتين بكل ما يصاحبهما من الرغبات المعدلة او المضغوطة أو المقنعة . وسنرى فيما بعد من الحالات التى يمكن فيها كشف الارادة والرغبات غير الواعية ان دوافعها فى الاغلب تتركز حول الذات . فالعقل الباطن بعبارة اخرى يتركز حول ذاته ، وهو يحاول على الدوام ان يحمى الذات ، وان يمهد لها السرور ويشبع لها الرغبات ويمنع عنها الاعتراضات التى لا تسرها والعقل الباطن بدائى النشأة ، وكثيرا ما يكون همجيا . وحتى فى أكبر القديسين على هذه الارض نستطيع أن نطبق هذه القاعدة وهى أننا اذا حللنا أفعاله غير الواعية فسوف تتكشف لنا دوافعه المعقدة التى تتركز حول الذات

الخلاصة

١ ـ الارادة والذكاء والرغبة وبعض صفات (سجايا) العقل الواعي توجد نامية في العقل غير الواعي (العقل الباطن) الى درجة كبيرة .

٢ ـ العقل الباطن هو مركز الذاكرة والعادات وغيرها من الوظائف غير الموجودة في العقل الواعي .

٣ ـ الاراء والرغبات غير السارة او المستحيلة الحل يمكن أن تضغط وتنسى بالكلية مع الارتباطات التي قد تؤدي الى عودتها الى الذاكرة

٤ ـ الذكريات المضغوطة او المنسية منذ عهد بعيد يمكن أن تعود إلى الذاكرة إذا وجدت الارتباطات المناسبة .

٥ ـ كثيرا ما يتشاحن (يصطدم) العقل الباطن مع العقل الواعي ، فاذا كانت الارادة الباطنة اقوى من الارادة الواعية فان الذكريات والقرارات وحل « المواد » غير السارة تضغط من الوعي الى العقل الباطن . وقد تجد الرغبات غير الواعية مجالا لا رتوائها .

٦ ـ أن العقل الباطن هو دائما والى درجة بعيدة عقل بدائي وذاتي (يتركز حول ذاته) .

(٢) الرغبات والقوة النفسية

يكرس جزء كبير من حياة كل انسان فى الرغبات ومحاولة تحقيقها ، وهذه الرغبات متنوعة وتشغل اكبر جزء من وقتنا ، فالسكير يرغب فى الخمر على الدوام ، والعالم يرغب فى الاكتشاف ويكره ان تعطل شؤون المنزل بحوثه ، وبعض النساء يرغبن فى الملابس الجميلة ، والبعض يحببن المنزل الجميل وبعض الناس يحب الهدوء والبعض الآخر يحب المرح والسرور . وسنرى من تحليل هذه الرغبات ان القوة الكامنة وراءها يمكن ان تقتفى الى الغريزتين البدائيتين اللتين ذكرناهما فى الفصل السابق : حفظ الذات وحفظ النوع ، او بتعبير ادق غريزة خلود الحياة .

ولنذكر هنا مثالا : يتعلق احد النـــاس بلعبة التنس ، ويصرف جزءا كبيرا من قوته فى ممارستها ، ولكن وراء هذه القوة يلزم ايضا جانب كبير من القوة العقلية او النفسية . فان الرغبة فى اللعب ، ان لم يكن وراءها قوة ، وتنتهى الى شيء . ينبغى اذن ان يكون وراءها قوة كافية للعمل والتنفيذ كامساك المضرب والكرات ومقاومة النزوع الى الكسل وخصوصا فى اثناء الجو الحار . ولو بحثنا هذه الحالة بحثا سطحيا ، ولو مؤقتا ، لتذكرنا اننا كثيرا ما نسمع بعض الناس يقول « يجب ان امارس بعض الرياضة » او « انى احتاج الى زيادة رياضتى » فما معنى هذا ؟ معناه ان الرياضة لازمة لحفظ الصحة والصحة لازمة لاطالة الحياة . فالرغبة فى لعب التنس عند بعض الناس تخفى وراءها — ولو الى حد ما — غريزة حفظ الذات . غير ان هناك ايضاً دافعاً غير واع اذ المعروف ان الالعاب الرياضية تنال كثيرا من التشجيع فى المدارس ، والتجارب تدل على ان الذين يمارسون الالعاب الرياضية يصرفون فيها جزءا من النشاط الذى كان يتجه الى الناحية الجنسية لولا ذلك .

والرغبة الجنسية هى احدى الرغبات التى تدرب على ضبطها منذ الطفولة ، وعلى الرغم من اننا كثيرا ما ننجح فى ضغط نزعات هذه الرغبة الى العقل الواعى الا ان القوة المتصلة بها تظل باقية وتحاول بل ينبغى ان تجد مخرجا لها . ولعبة التنس بما فيها من الانفعالات العقلية والجسدية وما

يصاحبها من الحركات الموزونة تعد — الى حد ما — مخرجا مناسبا . ومن ثم فان ضغط الرغبة الجنسية قد يؤدى الى انصراف قوتها الى طريق آخر وبذا نجد فى لاعب التنس شيئا من غريزتى حفظ الذات وحفظ النوع وراء رغبته فى لعب التنس .

هذا الانتقال بالقوة « الطاقة » النفسية من مخرج غير مرغوب فيه الى مخرج مرغوب يسمى بالتصعيد « التسامى » . وليست الالعاب الرياضية هى الطريقة الوحيدة التصعيد وانما يوجد ايضا الدين والفن والموسيقى والرياضيات والعلوم الخ كما نجد فى الناحية المقابلة ان الخمور والمخدرات والهستريا والاضطرابات العصبية النفسية على اختلافها تعد مخرجا منحطا للنشاط نضغوط هذه الرغبات ولكنه على اى حال كثيرا ما يمنع ظهور هذه الغرائز وما يصاحبها من المنازعات العقلية فى العقل الواعى . وليس الامر من السهولة التى يظنها قارىء هذه السطور ولكننا لا نحاول الآن اكثر من ان نعطى القراء فكرة عامة عن الموضوع .

وهذا بدوره يقودنا الى بحث عبارة « قوة الرغبة » او « القوة » « الطاقة النفسية » او « القوة العقلية » كما يسميها البعض . وسيساعدنا على ذلك ان نبحث اولا ماذا نعنى بعبارة « القوة المادية »

ففيما يختص بهذه القوة المادية نعرف انه لا توجد انواع متعددة منها ولكن توجد مظاهر مختلفة لها يمكن ان يتغير احدها الى الآخر ولكن المجموع النهائى للقوة الاصلية يبقى ثابتا دون زيادة او نقصان . ولايضاح ذلك نقول انه يوجد قدر معلوم من القوة فى طن من الفحم . وهذه القوة قد تظهر على شكل حرارة اذا تعرض الفحم للنار . وقد يتغير هذا الشكل الى حركة اذا وضع الفحم فى آلة او قد يكون كهرباء اذا وضع فى دينامو . وهذه الكهرباء قد تأخذ شكل الضوء كما يمكن ان تتخذ مرة اخرى شكل الحرارة او الحركة . فالقوة واحدة ولكننا نستطيع ان نظهرها فى اشكال مختلفة ويلاحظ هنا ان تحول القوة من مظهر الى آخر لا يمكن ان يحدث بصورة كاملة قط . وذلك راجع الى نقص آلاتنا . فعند تحول الحرارة الى كهرباء لا تتحول كلها وانما يبقى جزء منها كحرارة فتمتصه البيئة المحيطة ولكنه لا يفقد .

وتدل الدلائل على انه يوجد شبه كبير بين القوة النفسية والقوة المادية . والراجح انه لا توجد قوة الا نفسية واحدة يمكن ان — توجه كالقوة المادية — فى طرق مختلفة . فمثلا قوة الرغبة

الشبقية يمكن ان توجه — الى درجة كبيرة الى قوة رغبة فى الموسيقى او الدين او العلوم او الرياضة . كما ان قوة رغبة الرياضة البدنية يمكن ان توجه الى قوة رغبة الرياضة العقلية « كالانهماك فى لعب الشطرنج او حل المسائل الحسابية والعقلية الخ » .

والقوة النفسية كالقوة المادية ايضا لا يمكن ان تتحول كلها من طريق الى اخر . اذ يتبقى منها جزء — كبير فى بعض الاحيان — كما هو دون ان يتحول . ويتوقف مقدار هذا الجزء على الشخص ذاته . كما يتوقف المقدار الذى يتحول من القوة المادية على كفاية الآلة الخاصة .

واهم ما يعنى به المشتغلون بالتحليل النفسى هو امكان تحول قوة الرغبة من طريق الى اخر فطريقة التحليل النفسى ترمى فى لبابها الى تخليص « تنقية » الرغبات المضغوطة من اهدافها الضار ثم بعد ذلك تحويلها الى اهداف نافعة . فمثلا اذا حسنت الظروف يمكن تحويل القوة الكامنة وراء رغبة تعاطى الخمور او المخدرات الى قوة لرغبات اخرى اكثر سموا . ويطلق على العملية الاولى اسم « التحويل بالنقل » وعلى الثانية اسم « التصعيد » .

ويمكن ان يقال ان كل عقل عنده قدر من القوة النفسية لا يمكن ان يجد مخرجه الملائم فى اشباع الرغبـات

وبهذه المناسبة نذكر ان مقدرة الاشخاص المختلفين او عجزهم عن تحويل قوة الرغبات عندهم من مستوى منحط الى مستوى اعلى لا يتوقف على الوراثة او على الظروف التكوينية للشخص وحسب ، ولكن يتوقف الى درجة كبيرة على البيئة وعلى تصرفات الوالدين فى السنوات الثلاث او الاربع الاولى من الحياة . وهذا هو السبب فى ان نسل بعض الوالدين الممتازين يجىء فى بعض الاحيان فاشلا ، فالتحليل النفسى يظهر ان الوالد المتطرف فى حزمه قد ينجب ابناً ذا نوع خاص من النقص . والوالد المتطرف فى تدليله قد ينجب ابنا ذا نوع آخر مختلف من النقص . وهنا ينبغى الا ننسى أن المربية ، والزائر العابر ، والحديث العارض التافه ، والحركات غير المقصودة ، لها كلها أثر بالغ فى السنوات الاولى من حياة الطفل . والوالدون لا يستطيعون أن يدركوا كيف أن طرائقهم فى تربية أبنائهم تنتهى الى نتيجة غير التى كانوا يتوقعونها لانهم لا يعرفون أن عقله البدائى غير الواعى (الباطن) يفهم ويمتص ما يراه حوله بصورة لا يستطيع أن يفهمها الرجل المتمدين . وقد ينجب الأب الردىء — عن طريق الصدفة

أو الاهمال — ابنا متفوقا ، بينما قد ينجب الاب الطيب، على الرغم من كل عنايته ابنا رديئا جداً ، ولسنا نقصد بهذا أن نقول أن كل تصرفات الطفل فى أثناء نموه متوقفة على تأثير البيئة الأولى ، ولكننا نقصد فقط أن نقول أننا لانستطيع قط أن نقارن بين الطيب والردىء فى مختلف الناس ، فان الأب الطيب الحسن النية قد يبذل جهـــدا كبيرا فى تعليم ابنه ضغط الرغبات الشهوية ؛ ولكنه ينسى أو لايعرف كيف يمهد له سبل التسامى الذى يلزمه جدا فى الوقت نفسه ، فيذهب هـذا الجهد هباء ، بينما يجد شخص آخر سبل التسامى — بطريق الصدفة — ممهدة امامه ، فينتفع منها

وكثيرا ما تستعمل كلمة الليبد (الشهوة) بدلا من عبارة «قوة الرغبة» ويبدو لى أن المعانى المختلفة التى استعملت لها كلمة الليبد تجعل استعمالها غير مرغوب فيه ، فان المدرسة الفرويدية تطلقها على قوة كل أنواع الرغبة الجنسية ، فى أوسع معانيها ، بينما يستعملها آخرون لتشمل كل أنواع القوة النفسية ويستعملها فريق ثالث لمعنى متوسط بين الاثنين . ولهذا السبب سأحاول فى هذا الكتاب أن أتحاشى استعمال هذه الكلمة ، ولكنى انبه الى لزومها لاولئك الذين يعزمون قراءة كتب أخرى عن التحليل النفسى حتى يكون عندهم فكرة عن المعانى المختلفة التى تستعمل هذه الكلمة فيها

والآن ننتقل الى بحث المصدر الاساسى والبدائى للقوة النفسية

يقول فرويد بعد دراسات واسعة أن قوة الرغبة الجنسية تكمن وراء كل الانواع الاخرى لقوة الرغبة حتى فى أثناء الطفولة . وقد وصل الى هذا الرأى بعد سنوات طويلة من البحث والتحرى ، فهو يرى مص الرضيع لثدى أمه أول أنواع أشباع الرغبة الجنسية فى الطفل . وهو يقارن الرغبة ، ثم السرور البادى ثم الاحساس بالارتواء الكامل مع احمرار الوجه والرغبة فى النوم بما يحدث عند اداء العملية الجنسية فيما بعد . وهو يرى أن الثدى والفم والذراعين والانف وبعض مناطق اخرى من الجلد والاعضاء التناسلية ذاتها هى مناطق شبقية . أى أن لها بعض الدلالة الجنسية فى السنوات الاولى من الحياة التى قد تبقى عند الكثيرين من الناس فى صورة معدلة بعد البلوغ . ولكنى لا أظن أنه مع كل ما قدم من الادلة استطاع أن يثبت أن رغبة التغذية فى الطفولة هى جزء مبكر وغير متميز من الرغبة الجنسية .

وقد تحدثنا سابقا عن الغريزتين البدائيتين العظيمتين : رغبة حفظ الذات ورغبة حفظ النوع (الرغبة الشبقية) . ولا ريب فى أن الاتصال بين الاثنين قريب جدا . بل لعلهما مشتقتان من أصل

بدائى واحد غير متميز هو رغبة الحياة «ارادة الحياة» والادلة القائمة تجعل غريزة التغذية أقرب الى حفظ الذات منها الى الرغبة الجنسية

ولنأخذ مثلا تاريخ حياة الاميبا وهى أسهل الكائنات الحية وأقربها الى البدائية : فان الاميبا الصغيرة تبذل كل قوتها فى النمو وفى تحصيل الغذاء . وهى كفرد لها فعل تناسلى واحد فى كل تاريخ حياتها . اذ عند انتهاء حياتها الفردية تنقسم نواتها الى قسمين ويتبع كل قسم جزء من بقية الجسم «البروتوبلازم» وبذا نجد اثنين من الاميبا الصغيرة . وقد يقال أن الاميبا الصغيرة تبدأ حياتها بفعل تناسلى من الاميبا الكبيرة . وانها فى خلال حياتها كلها تنصرف الى الاستعداد للفعل التناسلى الذى ينتهى بانقسامها الى اثنين .. وبذا يبقى النوع . ولكن يمكن أن يقال أيضا أن اكبر مقدار من قوتها ينصرف الى تحصيل الغذاء ، وانها لا تفكر فى الراحة والانقسام الا حين ترى ان قدرتها على تمثيل الغذاء قد بدأت تضعف وتهن ، فالعملية الجنسية هنا هى اذن نوع من الاستجمام حتى تعود لها القدرة ومن ثم اللذة من تمثيل الغذاء .

ويؤيد هذا ان أطول فترة من حياة الاميبا تنصرف الى حفظ الذات لا الى حفظ النوع ، ولكن كلا العمليتين لازمة لاستمرار الحياة فى النوع . ولعل افضل شىء ان نعتبر القوة فى كلتا العمليتين كمظهر متعاقب لغريزة واحدة هى غريزة الحياة ، بدلا من ان نعد العامل الغذائى مظهرا للعامل الجنسى واذا كان لا بد من شىء من هذا فالاقرب الى المنطق ان نعد العامل الجنسى . فى اى فرد مظهر الغريزة حفظ الذات ، وان نعده مستخرجا — فيما بعد — من عمليات التغذية ، بدلا من القول ان عملية التغذية الطفلية هى مظهر من مظاهر الرغبة الجنسية الطفلية .

ولست بهذا اعارض الحقيقة التى يقررها فرويد من ان الرغبات الجنسية تبدأ فى الظهور منذ عهد الطفولة ، ولكنى اعارض قوله بان كل مظاهر الرغبة ترجع الى اساس جنسى . وكثيرون من اتباعه يرجعون كل انواع الخوف الى اساس جنسى : فخوف الموت هو خوف غير واع من عدم قدرة الشخص على حفظ نوعه عن طريق التناسل والاقرب الى المعقول ان نزعم ان مثل هذا الخوف هو نتيجة الغريزة غير الواعية : ارادة الحياة ، وانه فى ذاته تفاعل ضد انعدام الحياة لا ضد عدم القدرة على حفظ النوع ، فان الكل دائما اكبر من الجزء

الخلاصة

١ — يتألف نشاط الحياة من الرغبات المتعددة ومن المحاولات الدائمة لاشباعها

٢ — معظم الرغبات يمكن ان يقتفى الى الرغبة البدائية فى استمرار الحياة وحفظها « رغبة او ارادة الحياة »

٣ — لتحقيق اى رغبة يجب ان نبذل نوعاً من القوة نسميها القوة النفسية او العقلية

٤ — القوة النفسية — كالقوة المادية — هى نوع واحد فقط ، ولكنها قد تتخذ مثل القوة المادية الواناً مختلفة فى مظهرها

٥ — اى لون من القوة النفسية — كالقوة المادية — يمكن ان يتحول الى لون آخر ، ولكن التحول لا يمكن ان يكون تاماً ، اذ يبقى جزء منه على صورته الاولى . ويتوقف مقدار هذا الجزء الذى لا يتحول على كفاية كل شخص بعينه

٦ — تضغط قوة الرغبة الجنسية على الدوام وباستمرار ، ولكن يبغى ان تجد هذه القوة ، بل لا بد ان تجد لها مخرجاً « منفذاً » ولو فى صورة اخرى

(٣) تطور الرغبة الشبقية

ملحوظة : لم أحاول أن أثبت النتائج التى انتهيت اليها فى هـذا الفصل ، فان هذا العمل وحده يتضمن مادة تكفى عدة مجلدات وينطوى على نتائج كل الابحاث التى عملت على التحليل النفسى . وقصاراى فى هذا الفصل أن أعطى القارىء فكرة واضحة عن بعض الحقائق ، مستعينا على ذلك بالمقارنة ، وبضرب الامثلة المستخرجة من الحياة البدائية ، وهى أمثلة يعرف الكثيرون أنها قد تبقى الى ما بعد البلوغ عند المصابين بالشذوذ . وقـد حاولت أن أوضح خطوات التطور النفسى بإشارات بسيطة الى السيكولوجية المقارنة ، كما توضح القيم التشريحية الانسانية بالاشارة الى علم التشريح المقارن . أما أولئك الذين يريدون التوسع فى معرفة الشواهد التى تؤيد الحقائق الواردة فى هذا الفصل فعليهم بالرجوع الى ما كتبه فرويد ، وخاصة «ثلاث مساهمات فى نظرية الجنس» و«مقالات مختارة فى الهستريا وغيرها من الاضطرابات العصبية النفسية» و«تفسير الاحلام» وكذا كتاب «طريقة التحليل النفسى» وكذا كتب أدلر ويونج ، فانها جميعها تساهم فى تقديم الشواهد اللازمة على هذه الحقائق ، التى لا يمكن بطبيعة الحال أن يكون لها محل فى عرض سريع مثل هذا

رأينا فيما سبق أن الغريزة الاساسية «رغبة الحياة» تتفرع الى غريزتى حفظ الذات وحفظ النوع ، وسنرى الآن انه يمكن فصل هاتين الغريزتين أحداهما عن الاخرى فصلا تاماً ، فان ما يكون وسيلة لحفظ الذات قد يصبح فيما بعد عاملا هاما فى حفظ النوع ، واذا كانت مظاهر القوة الكامنة وراء غريزة حفظ الذات سهلة واضحة ، فانها ليست كذلك فيما يتعلق بغريزة حفظ النوع . وهذا هو أحد الاسباب التى تسبغ على بحث التطور التناسلى أهمية خاصة .

أما السبب الثانى — وهو على قدر كبير من الاهمية — فهو أن تقدم المدنية قد جعل الرغبات والنزعات المتعلقة بحفظ الذات لا تضغط لانها لا تقتضينا كثيرا من الجهد والعناء كما كان الحال مع اسلافنا فى عصر ما قبل الانسان ، فانصرف جزء كبير من القوة التى كانت تبذل لها قبلا الى اشباع النواحى الشبقية ، وتبدو هـذه الحالة بصفة خاصة فى المرأة وفى أولئك الذين لا يعرفون الجهاد فى

سبيل القوت . ومن ناحية أخرى فاننا نربى منذ الطفولة على ضغط الرغبة الجنسية وكل الافكار المتصلة بها ، وهذا — مع الاعتبار السالف — يزيد من صعوبة الضغط . وبذا نرى أن الحياة المتحضرة قد مهدت على الدوام للتمييز المتصنع للجنس ، وزادت القوة الشبقية باستغلالها جزءا من قوة حفظ الذات ثم — بعد ذلك — عملت من ناحية أخرى على ضغط هذه القوة — وهذه كلها أمور لا يعرفها أى نوع من الانواع الحيوانية . والنتيجة انه — ما لم نلجأ الى التصعيد — فلن يكون أمامنا الا أحد طريقين : طريق الامراض العصبية النفسية ، أو طريق الانحرافات المختلفة والعادات السيئة . ومن هنا كان من الزم الضرورات عند عمل أى تحليل للعقل غير الواعى ان نلم الماما تاما بكل مقومات النفسية التناسلية ، وبجميع الطرق الجانبية التى يمكن أن تنصرف اليها قوتها

والفكرة السائدة هى أن الغريزة الجنسية تنحصر فى دافع قوى نحو الجنس الآخر يظهر وقت البلوغ ، وليس أبعد من هذه الفكرة عن الصواب ، فان الميل الى الاتصال الجنسى ليس الا آخر المرحلة ، أو هو النهاية ، لدوافع مختلفة كثيرة تنشأ فى فترات مختلفة منذ الطفولة ، ولها أهداف منفصلة كل الانفصال عن الاتصال الجنسى بأحد أفراد الجنس الآخر

وكما أن أجسادنا تعيد أدوار تطورنا كلها فكذا عقولنا ، وكما أن أجسادنا لا تزال محتفظة بكثير مما يتعلق بأسلافنا الاولين البعيدين فكذا أيضا عقولنا .

وقد ذكرنا فيما سبق شيئا عن «تناسلية» الاميبا البدائية ، فنقول الان انها أبسط الكائنات ، اذ ليس لها جنس ولا أعضاء مميزة ، وقدرتها على التناسل كامنة فيها ، وهذا التناسل يحدث بطريقة الانقسام : تنقسم النواة أولا ، ثم بقية الكائن ، فاول الانواع اذن هو كائن أحادى الجنس وذاتى التناسل

ويأتى بعد الاميبا فى سلم التطور كائن اسمه البارميسيام وفيه نرى المثال للجنس الثنائى مع ذاتية التناسل . لانه فى دور من حياته يمثل فى تناسله دور الاميبا (التناسلية الذاتية) بان تنقسم نواته اولا ثم ينقسم الجسم كله بعد ذلك . ولكنه يمثل فى ادوار اخرى الفصل الجنسى البدائى ، وذلك بان يلتصق اثنان منه من الامام ويتقاسمان نصف النواة عن طريق الفم ، ثم ينقسم كل منهما الى قسمين ويختلط نصف احدهما بنصف الاخر . وليس للكائنين جنس معروف ، اى ليس لاحدهما اعضاء

تذكير والآخر اعضاء تأنيث ، ولـكن لابد ان النواة تحتوى على جزء « مذكر » وجزء «مؤنث» لان تبادلهما على هذا النحو لازم لبقاء النوع . فى هذه الحالة نرى ثنائية الجنس فى مبدئها ، وان كنا نرى ان التناسلية الذاتية عامل هام ايضا فى الانسال

ثم تأتى بعد ذلك الهيدرا وهى كائن متعدد الخلايا ، وفيها ايضا نرى التناسلية الذاتية (اذ يمكن ان يتبرعم منها كائن آخر) ، ولـكننا نرى ايضا ثنائية الجنس بمعناها الصحيح ، اذ تتكون فيها خلايا للتذكير واخرى للتأنيث ، وهذه تتحد وينتج من اتحادها كائن جديد . هذا النوع تتمثل فيه التناسلية الذاتية مع ثنائية الجنس وآثار مبكرة من الخنوثة .

ثم تأتى بعد ذلك دودة الارض ، وتحتوى كل دودة على اعضاء الجنسين (المبيض والخصية كاملى النمو) ، ولـكن كل دودة تحتاج ان تلقح من دودة اخرى ، فهى على هذا الاعتبار مثال للخنوثة الصحيحة ولثنائية الجنس الكاملة ، ويمكن ان يقال ايضا ان فى دودة الارض شيئا من عشق الجنس لانها تنجذب الى دودة من نفس تكوينها . وهذا صحيح ايضا عن البارامسيام

وكلما ارتقينا صعدا فى سلم التطور رأينا ان اعضاء التذكير واعضاء التأنيث — على الرغم من بقائها مجتمعة فى جميع الحيوانات — تأخذ فى التميز ، فتنمو اعضاء احد الجنسين فى الكائن بينما تبقى اعضاء الجنس الثانى فى حالة بدائية ، ومن هنا ينشأ تقسيم الكائنات الى ذكور واناث . ولكن حتى فى الانسان ، وهو ارقى الانواع الحيوانية فى سلم التطور ، نجد ان كل فرد منه يحتفظ باعضاء الجنسين فى درجات متفاوتة من النمو ، قد تتقارب فى بعض الاحيان فتكون خنوثة حقيقية . ومن ذلك اننا نجد فى الذكور بقايا الثدى والحلمة والرحم ، ونجد فى الاناث مقابلا للقضيب والصفن ، فكل فرد ثنائى الجنس من الناحية التشريحية .

والتطور فى النفسية التناسلية يتبع نفس هذه الخطوات التى ذكرناها الان . ونحن نستطيع ان نشاهدها فى جميع أنواع الحيوان حتى ارقاها نموا .

وتظهر التناسلية الذاتية فى الطفولة المبكرة جدا ، وكثير من الاباء يتضايقون حين يرون فى ابنائهم الرضع ميلا الى الاستمناء او الى غيره من مظاهر النضوج التناسلى المبكر او الانحراف التناسلى . ولـكن الابناء يظهرون الوانا اخرى من الميل التناسلى لايدرك الاباء دلالتها التناسلية لحسن

الحظ . وعلى اى حال فليس فى هذه التناسلية الذاتية اى شذوذ ، ولكنها دور فى النمو الطفلى للجنس سيحل محلها فيما بعد مظاهر عادية اخرى اذا لم تستعمل فى كبتها طرق خاطئة خالية من التصعيد ، غير انها لن تختفى من العقل الباطن ، بل ستبقى فيه ، بدليل ان بعض هذه التناسلية الذاتية تبقى فى البالغين ، ولكن فى صورة اخرى .

ولا ينفرد الجنس الانسانى وحده فى الاحتفاظ بهذه التناسلية الذاتية ، ولكنها موجودة فى بعض الانواع الحيوانية الاخرى مثل الكلاب والوعول والماشية والخيل والحمير والقردة ، اذ المعروف انها جميعها تمارس الاستمناء . بل ان انثى القردة تحاول — كالطفلة الصغيرة — ان تلتمس الارتواء التناسلى من حك فخذيها او من اللعب فى نفسها .

وفى سن الصبا لا يكون الميل الى الجنس الاخر قويا ، بل قد يثير الجنس الآخر شيئا من النفور والاشمئزاز . انما يتحول الميل الى عشق الجنس ، ومن هذه الصداقات القوية التى تنشأ بين افراد الجنس الواحد فى هذه الفترة من الحياة (نلاحظ بصفة خاصة بين فتيان المدارس وفتياتها) واذا لم تلق التصعيد المناسب فانها قد تذهب الرغبة فى محاولة اشباع العاطفة الجنسية بالاستمناء المتبادل وهذا الى عشق الجنس قد يكون الميل واعيا او غير واع ، وقد يضغط اولا بضغط ، ويتسامى أولا يتسامى بحسب الظروف . وقد يوجد هذا الميل الى عشق الجنس فى الكلاب وغيرها من الحيوان

وبعد البلوغ يتحول هذا الميل من عشق الجنس تدريجيا الى الميل نحو الجنس الاخر ، ولكن على الرغم من هذا قد يبقى جزء كبير من الميل القديم الى عشق الجنس ، وتحت الظروف العادية يضغط هذا الميل أو يتسامى . ثم يشتد الميل الى الجنس الاخر مع الزمن ، ولكن تبقى مع ذلك آثار من الميول السابقة

ويمكننا بذلك أن نقول أن تناسلية الطفل الرضيع هى :

١٠٠ فى المائة تناسلية ذاتية

وان تناسلية صبي فى الثانية عشرة من عمره هى :

٤٠ فى المائة تناسلية ذاتية

٥٠ « « عشق الجنس